الباب الخامس

اساليب ثورية يبتدعها الباراسيكولوجى لمواجهة الأمراض العضوية والنفسية

تمهيد وتبويب

لا ريب أن ألزم الجوانب العملية لحاجة الجماهير بوجه عام هو ضرورة مواجهة العديد من الأمراض العضوية والنفسية بأسلوب مستحدث تماماً فى دوائر العلم المعاصر ، وهو أسلوب العلاج الروحى .

ففى هذا الجانب بالذات يظهر تماماً مدى ضخامة الدور الذى قام به الباراسيكولوجى فى تخفيف آلام الإنسانية إلى مدى لم يكن يخطر أصلا على بال أحد من قبل ، خصوصاً أن الكثيرين من العلماء كانوا ما زالوا متشبثين بأهداب الماضى القريب فى إنكار جدوى هذا الأسلوب من أساسه .

لكن ما العمل بعد أن تكشفت التحقيقات العلمية المثابرة ، فى جميع الدوائر المعنية بهذه الأمور فى الغرب والشرق ، إلى نتائج إيجابية سببت — وما تزال تسبب — الحيرة بل الذهول عند أشد الباحثين تزمتاً ، وأكثرهم رغبة فى التمسك بأهداب الطب العضوى كما ألفوه وعرفوه ؟ ! . . .

ولقد سجل الباحثون حتى الآن نجاح الآلاف بل عشرات الآلاف من الحالات التى خضعت للتحقيق والدراسة ، وتكشفت بين ذهول الباحثين وحيرتهم عن شفاء حالات من الأدواء المستعصية تماماً والميئوس منها بحسب أقيسة الطب العضوى المتعارف عليها . حتى لقد أضحت مراكز العلاج الروحى منتشرة الآن فى أرجاء عديدة من العالم ، كما سوف يتضح للقارىء فيما بعد .

وكان التركيز أولا على الأمراض العضوية كلها ، خصوصاً منها تلك التى لا تعلل بنشاط ميكروبات أو فيروسات معلومة أو مجهولة . وكان نجاح المعالجين فى شفاء العديد منها بمثابة الصواعق التى نزلت على معاقل المادية والإلحاد ، ناهيك بمعاقل الجمود والمكابرة فى دوائر الطب إلى أوائل القرن الحالى .

* * *

وتتضمن المجلات الروحية العلمية والإخبارية المنتظمة الآلاف من حالات الشفاء الإعجازى مقرونة — فى المعتاد — بالصور الحاسمة ، وبشهادات الأطباء العضويين ، وبنتائج التحاليل ، والأشعات السينية ، ودلالات الإحصاءات المختلفة .

وهناك صحافة متخصصة فى بعض الدول فى موضوعات العلاج الروحى ، ناهيك بسائر المجلات والمضابط والنشرات التى تعالج كل موضوعات الباراسيكولوجى على منهج حذر متشدد ، بل مغالٍ فى الحذر والتشدد فى بعض الأحيان .

ومن هذه الجرائد والمضابط المتخصصة فى الباراسيكولوجى والتى لها سمعة خاصة فى دوائر العلم نخص بالذكر هنا « جريدة جمعية البحث الروحى » :

— Journal of the Society for Psychical Research (J. S. R) .

وأيضاً مضابطها :

— Proceedings of the Society for Psychical Research (Proc. S. P. R.) .

وهى تصدر عن « جمعية البحث الروحى بلندن » .

ثم « مضابط الجمعية الأمريكية للبحث الروحى » :

— Proceedings of the American Society for Psychical Research. (Proc. A. S. P. R.).

وأيضاً جريدتها :

— Journal ol the A. S.P. R.

وهى تصدر عن « الجمعية الأمريكية للبحث الروحى » بنيويورك ، وكانت فرعاً من الجمعية البريطانية ، ثم استقلت عنها منذ أمد بعيد .

ثم نذكر « جريدة الباراسيكولوجى » الأمريكية :

— Journal of Parapsychology (J. P.)

— كما يمكن الرجوع إلى « الجريدة الأوروبية للباراسيكولوجى » :

— European Journal of Parapsycholoy (E. J. P.) .

— وأيضاً إلى « الجريدة الدولية » للباراسيكولوجى :

— International Journal of Parapsychology (I. J. .P) .

• • •

وبطبيعة الحال لن يتسع المقام الحالى إلا للحديث فى بعض الخطوط العريضة للنتائج العامة التى وصلوا إليها فى الخارج ، والتى تهم كل قارىء حريص على متابعة الركب العلمى . أما ذكر بعض أمثلة وحالات خاصة فلا يمكن أن يتسع له هذا المقام المخصص — فحسب — لفتح النوافذ على بعض الآفاق الحديثة فى الباراسيكولوجى ، والتى يجدر بها أن تضىء طريقنا وتخفف آلامنا أسوة بالآخرين .

وهذه الأصول العريضة التى يلزم المرور بها تباعاً لعرض تلك « الأساليب الثورية التى ابتدعها الباراسيكولوجى لمواجهة الأمراض العضوية والنفسية » متعددة ، وواسعة النطاق . لكن يمكن أن نكتفى هنا منها بثلاثة فصول رئيسية على النحو الآتى : —

الفصل الأول :

نظرة عامة إلى هذا الموضوع .

الفصل الثانى :

وقفة عند بعض ظواهر المس والاستحواذ .

الفصل الثالث :

عن وضع العلاج الروحى فى ثلاث من الدول الكبرى .

الفصل الأول

نظـرة عامة

إلى موضوع العلاج الروحى

تمهيد وتبويب

هذه النظرة العامة إلى موضوع العلاج الروحى تتضمن ثلاثة مباحث على النحو الآتى : —

المبحث الأول :

لورد داودنج يحقق وساطة العلاج الروحى .

المبحث الثانى :

صلة العلاج الروحى بحالة الجسد الأثيرى للإنسان .

المبحث الثالث :

نحو نظرة جديدة إلى العقل والمادة .

المبحث الأول

لورد داودنج يحقق

وساطة العلاج الروحى

من بين الوساطات الروحية التى امتحنها المارشال لورد داودنج[1] وتحقق منها بنفسه

---

(١) كان رئيساً للسلاح الجوى طيلة الحرب العالمية الثانية ، وله عدة مؤلفات عن تجاربه الشخصية فى هذه الموضوعات منها كتاب عنوانه « بوابة الجثث » Lychgate وعنه نأخذ هذه البيانات . وله كتاب آخر عنوانه « منازل عديدة » Many Mansions .

ولم تقف أبحاثه الروحية عقبة فى أن يحصل على أكبر لقبين فى بلاده وهما لورد ، ومارشال . وكان يعقد جلساته الروحية فى أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كان يدير دفة القتال ضد الطيران الألمانى ، وتحت وابل من الغارات الجوية على لندن !! ...

وساطة العلاج الروحى ، وقد تعرض لها فى الفصل الثامن من مؤلفه « بوابة الجثث » مبيناً السبل المختلفة التى يتم بها هذا العلاج ، وذاكراً أن الأرواح تعالج المرضى بأساليب متعددة وهى :

أولا : شفاء عن طريق صلاة المريض وابتهاله إلى الله تعالى وهو أسمى صور العلاج الروحى ، وقد شاهد ذوو الجلاء البصرى فى جلساته وسائل غير منظورة تمتد لمعاونة جهود المصلين .

ثانياً : أرواح تتولى تشخيص المرض مستخدمة إشعاعات سينية (أشعة إكس) تمكن الوسيط من رؤية موطن الإصابة أو الداء، ووصفه كما يصفه الطبيب البشرى المعالج.

ثالثاً : أرواح تشخص المرض مباشرة ثم تترك العلاج للطب البشرى العادى .

رابعاً : أرواح تشخص المرض ثم يتولى الوسيط العلاج بلمسات بالأيدى ، أو بحركات أخرى منه .

خامساً : أرواح تشخص المرض ثم تعطى وصفة علاجية من الصيدلية .

سادساً : أرواح تشخص المرض ثم تتولى هى العلاج بالأضواء والألوان .

سابعاً : علاج غيابى يتم بعلم المريض والطبيب المعالج أو بدون علمهما .

ثامناً : علاج غيابى يزور الوسيط فيه المريض وهو فى جسده الأثيرى .

تاسعاً : علاج عن طريق مياه محملة بسبالات روحية Spiritually charged كما يحدث فى قرية لورد Lourdes (مزار فرنسى بجهة جبال البرانس وقد حدثت فيه — ولا تزال تحدث — معجزات علاجية كثيرة سجلتها عدة لجان من الأطباء الكبار فى تقارير رسمية)[1] .

---

(١) تجد بياناً تفصيلياً عن هذه المعجزات والتقارير الخاصة بها فى كتاب « المسألة الكبرى والبينة على حلها » للدكتور جورج لندساى جونسون :

George Lindsay Johnson : The Great Problem and The Evidence For Its Solution

وقد لخصها المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير فى مجلة « عالم الروح » عدد نوفمبر سنة ١٩٥٤ ص ٢ — ٢٦ .

عاشراً : علاج تتولاه أيدٍ متجسدة لأرواح بأجهزة طبية بشرية .

حادى عشر : علاج مغناطيسى يختفى فيه العنصر الروحى فى الظاهر فقط لا فى الواقع .

ويعقب المؤلف على ذلك قائلا : لو أنى كنت طبيباً بشرياً لأخذنى الذعر عند قراءة هذا الكلام ، ولتذكرت حكاية طبيب معالج تلقى طلباً بالتليفون وهو يتناول طعامه فقام مندفعاً يرتدى معطفه فسألته زوجته عن الخبر فأجابها : « إن السيدة جونز تطلبنى لأن ابنها الصبى جرح اصبعه » . فلما أرادت أن تستمهله حتى يتم طعامه بحجة أن الحالة ليست عاجلة ، أجابها : « كلا لا يمكننى الانتظار يا عزيزتى لأن السيدة جونز اشترت كتاباً فى الإسعافات الأولية وأخشى أن تبادر إلى اسعاف الصبى قبل أن يكون لى فضل إسعافه » !

ثم يقول إن عدد المعالجين الروحيين فى هذه البلاد يتزايد يوماً فيوماً وليسوا جميعاً فى مستوى واحد من ناحية إنكار الذات ، ومن ناحية الفائدة التى يقدمونها للمرضى ، وهى مسألة طالما شغلت مجمع الأساقفة لأنها فى الواقع مسألة شائكة ، لأن الوسيط المعالج الذى يأخذ على عاتقه أن يتدخل بالنصيحة أو بالعمل فى علاج يجريه طبيب قادر إنما يتحمل فى الواقع مسئولية كبرى ، وقد يوقع نفسه تحت طائلة العقاب . . .

عن ضرورة الجمع بين العلاج المألوف والعلاج الروحى

لكن من الجلى أن التشخيص والعلاج الروحيين — متى أمكن الجمع والتوفيق بينهما وبين العلاج الطبى العادى — لا محل لأن يكونا موضع نقد من أحد . فكثير من أساليب العلاج الروحى التى سبقت الإشارة إليها يمكن الجمع بينها وبين العلاج الطبى العادى ، متى لوحظ أن المريض الذى يعالج روحياً لا يطلب منه الامتناع عن علاجه العادى أو تجاهل نصائح الأطباء .

وبتطبيق ذلك على الوسائل الآنفة الذكر نرى أن أحداً لا يمكن أن يعترض اعتراضاً

جدياً على أن يضع الوسيط يده على المريض ، وإن أسوأ ما يعترض به الماديون على هذا العمل هو أنه عديم الجدوى .

والطريقتان الثانية والثالثة تتضمنان بذاتهما ضرورة مساهمة العلاج الطبي العادى فيهما .

أما الطرق الرابعة والخامسة والسادسة فإنها تتطلب من الوسيط أن يكون حذراً ، حتى لا يتعارض علاجه مع العلاج الطبي المستقر ، اللهم إلا حيث تكون الحالة ميؤساً منها وقد تخلى عنها الأطباء .

أما عن الطريقتين السابعة والثامنة فلا يمكن أن يدينهما أى نظام مشروع ما لم يسلم كقاعدة أساسية باستحالة الاتصال بالأرواح .

أما عن الطريقة التاسعة فتبدو صحيحة دائماً ، ولم أسمع بعد من أى إنسان أنه اضطهد بسبب أنه ذهب إلى مزار قرية « لورد » .

لكن يمكن بسهولة أن أتصور اعتراض البعض على استعمال أدوات جراحية بواسطة أيدٍ متجسدة لأرواح ، ولو أن الصعوبات التى تعوق نجاح علاج كهذا تبدو واضحة .

أما الطريقة الحادية عشرة ، وهى الخاصة بالعلاج المغناطيسى فهى خالية من طابع « العدوى الروحية » وهى لذلك تغرى بعض الماديين بفحص ظواهرها التى يمكن إخضاعها لأساليب الفحص العلمى ، لأنه يمكن تكرارها عند الطلب فى ظروف معملية .

* * *

ثم يقول المؤلف عن دائرته العلاجية الخاصة : « إننى أكتب بحرج كبير فى الموضوع لأننى لا أعلم إلا بصعوبة ما نقوم به فى هذه الدائرة العلاجية ، فلسنا نحن المعالجين ، ولو أننا نساهم فحسب بنصيب من الطاقة فى اهتزازات الموجات الأرضية فتختلط بالاهتزازات العليا ، ونوجد بذلك خليطاً يستعمل فى أغراض العلاج .

والسبيل كما أفهمه هو هذا : نعطى المعالجين الروحيين اسم شخص مريض

هيتولون فحص هالته وجسمه الأثيرى ، وكل اعتلال فى الصحة يقابله تغير فى لون هذين الشيئين أو فى كليهما ، ثم نستمع بعدئذ لما ينبغى علينا أن نفعله ، ثم تعلمنا أن تبنى معاً — وفى وقت واحد — أقوى ما نقدر عليه من صور ما يسمى « باللون الفكرى ».

وقد يظهر فى لحظة ما بريق ضوء خافت أو هالة من الضوء يقف المريض فيها . أو يسقط عليه مطر من الضوء « كالألعاب النارية » ، أو غلاف من الضوء تغلف به الأعضاء العليلة . والأضواء المستعملة غالباً ما تكون ذهبية اللون ، أو فضية ، أو خضراء ، أو صفراء ، أو زرقاء فاتحة أو قاتمة ، أو وردية . ويعيد العلاج الروحى اللون المعيب فى الجسد الأثيرى إلى حالته الطبيعية ، وهو ما يؤثر بدوره فى الجسد الفيزيقى أى المادى — لا على الفور — بل بعد فترة قد تمتد إلى شهور .

الفكر حقيقة واقعة

وهذا العمل دفعنى إلى أن أحقق بجلاء معنى عبارة أن « الفكر حقيقة واقعة » التى يرى البعض أنها مجرد مثل جارٍ بلا مغزى ، بل إن الفكر على العكس من ذلك شىء ينبغى اعتباره وتقديره إلى حد يدعو إلى العجب والحيرة . فقد حدث ذات مرة أن طلب إلينا أن نتخيل فى أذهاننا ركبة لساق جريحة مربوطة فى أربطة بيضاء وهمية . وقالت لنا الروح ل. ل. « إن أحدكم يفكر فى المادة التى نأخذ فى إحاطة الركبة بها . إن الركبة المريضة لا تحتاج إلا لهذه المادة لكى تلف بها فى رفق فتشفى » . وكان ذلك صحيحاً فقد كنت أتصور المادة التى كانت تحاط بها الركبة كما لو كانت تلف فيها .

وفى مناسبة أخرى كنا نشاهد كرة فضية مضيئة فقالت الروح : « كلا يا ديزى إنك تفكرين فى اللون الأخضر . بل فكرى فى لون فضى متلألىء » ، فأجابت ديزى بأنها كانت تفكر بالفعل فى لون حلية من حلى شجرة عيد الميلاد تمتاز بلون أخضر خاص بها . ان ذلك يبدو مثيراً بعض الشىء ، ولو أن الفائدة ليست مضمونة دائماً بقدر ما يمكننا من الحكم ، إلا أنه يبدو أن أغلب الحالات قد استفادت من هذا الأسلوب فى العلاج وكان بعضها واضحاً فى نتيجته .

ثم يستطرد المؤلف « إنى لست فى مركز من يثبت أن ليس ثمة شىء مما حدث لا يمكن تعليله بالمصادفة ، لكنى واثق من أننا لم نلحق ضرراً بأحد ، كما أنى أؤمن عن يقين ثابت أننا ربما نجحنا فى حوالى ٢٥٪ من الحالات فى الحصول على الشفاء الذى ما كان ليحدث لولا تدخلنا . وذلك رغم أنى أكتب بتحرج كبير كما قلت ، ورغم أنى لم أطرق الموضوع إلا لأنى شعرت أنه ليس من الإنصاف فى شىء أن أكتب فصلا عن العلاج الروحى وأتجاهل فيه كل وصف لتجاربنا الخاصة مهما كانت هـذه التجارب محدودة » .

هذا وقد رحل لورد داودنج إلى عالم الروح فى ١٥ فبراير من سنة ١٩٧٠ عن سبعة وثمانين عاماً بعد أن أدى إلى الروحية أجل الخدمات ، وظل إلى آخر لحظة فى حياته من أبرز أعلامها ودعاتها فى بلاده ، وذلك فى وسط احترام الجميع وتقديرهم له .

* * *

وهذا الذى يكتب عن العلاج بأساليب غير مادية ليس بجديد فى البحث الروحى ، إذ أن العلاج يعتبر من أهم موضوعاته ، وفيه مؤلفات كثيرة ، وشهد بصحته أطباء كبار شهادات مؤيدة بالوقائع ، والأسماء ، والصور ، والإحصاءات ، وذلك إلى الحد الذى دفع « الجمعية الطبية البريطانية » فى سنة ١٩٥٦ إلى الاعتراف بصحة العلاج الروحى ، كما فتحت مشتشفيات متعددة أبوابها للوسطاء المعالجين ، ولنا إلى هـذا الموضوع عودة فيما بعد للمقارنة بين ما يجرى فى بلادنا وما يجرى فى الخارج .

وإلى الحد الذى دفع « المعهد الدولى لما وراء الروح » فى باريس أن يشكل لجنة خاصة دائمة — هى اللجنة السابعة من لجان المعهد — مهمتها متابعة أعمال الوسطاء المعالجين للتميز بين الصادقين منهم وغير الصادقين[1] . كما جرت فى العلاج الروحى تجارب ناجحة كثيرة فى بلادنا ، ومع ذلك فإن من لا يروقهم الموضوع يخيل إليهم أنهم إذا نطقوا كلمة إيحاء ، أو استهواء ، أو أوهام فقد أوفوا الموضوع حقه وألزموا معارضيهم الحجة ، دون أن يتهموا أنفسهم بعدم الاطلاع أو بالتسرع فى الحكم على

(١) راجع مثلا مجلة المعهد لسنة ١٩٦٢ ، وفى ٣ — ٥ منها تجد تشكيل لجانه الثلاث عشرة خلال عام ١٩٦٣ .

الأمور . على أن من حق القارىء أن يؤجل حكمه على موضوع العلاج الروحى — إلى أن يتم قراءة باقى صفحات هذا الباب .

المبحث الثانى

صلة العلاج الروحى

بحالة الجسد الأثيرى للإنسان

ثبوت نجاح أساليب العلاج الروحى فيما لم تنجح فيه أساليب الطب المألوفة فى العلاج العضوى أو النفسى له صلة وثيقة بوجود جسد أثيرى للإنسان متداخل فى صميم تكوينه الحيوى . فهو يتخلل الجسد العضوى فى كل ذراته وخلاياه ، وهو المسئول الأول عن النشاط الوظيفى العضوى الخاص بدقات القلب ، والدورة الدموية ، وتجدد الخلايا والأنسجة ، والاحتراق ، والتمثيل الغذائى ، وأداء الغدد لشتى وظائفها..

وهذا الجسد الأثيرى سلمت به كل أبحاث الباراسيكولوجى . كما سلمت بوجود مراكز معينة للطاقة فيه ، تعمل بشكل دوامات كهرطيسية طبيعية . ويمكن أن تخضع هذه المراكز (التى يطلقون عليها Chakras) للعقل أو النفس خضوعاً مباشراً ، وأيسر من أن تخضع للعقاقير الطبية أو لمبضع الجراح .

ولذا فإن طائفة ضخمة من الأمراض العضوية قد يكون مصدرها نفسياً — Psycho somatic illness . وهذه الأمراض ليست قليلة بل إن تقريراً حديثاً لنقابة الأطباء الأمريكيين American Medical Association يؤكد أن نسبة المصابين بهذه الأمراض قد تصل إلى ٧٨٪ من مجموع المرضى الذين يترددون على أطباء عضويين ، وهى نسبة مرتفعة ، ولم تخطر على بال أحد من قبل[1] .

---

(١) بل إن بعض الدراسات الإحصائية الحديثة قد أظهر احتمال وجود صلة — على نحو ما — بين بعض الأورام الخبيثة وحدوث إحباط عنيف للمريض ، أو صدمات عصبية أو عاطفية متكررة قبل ظهور أعراض المرض عليه. وهذا الاعتبار قد يفتح باب أمل جديد للمصابين بهذه الأورام عن طريق العلاج الروحى الذى قد ينجح وحده فى ضبط نمو الخلايا المصابة عند معدلات نموها العادية ، حيث تكون العقاقير أو سبل العلاج بالأشعة وبالراديوم قد فشلت .

وممكن لبعض حالات هذه الأمراض أن يستجيب فى يسر وبساطة للعلاج الروحى بدون تعاطى عقاقير طبية ، أو مع تعاطيها . ومثلها العديد من حالات المس والاستحواذ التى لا صلة لها بالتشخيصات المتسرعة عن المغالاة فى دور الكبت الجنسى وأثره فى بعض الأمراض العصبية والنفسية .

عن تفاوت الأساليب

وأساليب العلاج الروحى تتفاوت كثيراً بين مدرسة وأخرى بل بين أى معالج وآخر . وهذا التفاوت لا ينتقص من قدرها لأن العبرة ينبغى أن تكون بمدى صحة النتائج التى قد تحققها ونوعيتها ، مع مدى اختلافها عن أساليب العلاج العضوى المألوفة ، سواء أكانت من أساليب العلاج الباطنى ، أم الجراحة ، أم الأشعة ، أم الطب الطبيعى . . .

وهى فى غالب صورها لا تعدو لمس المريض بوضع المعالج يده على رأسه أو على الأجزاء المريضة ، وأحياناً مع ظهور أضواء مجهولة المصدر Mysterious Lights أو بدون ظهورها . وقد تشترك مجموعة من المعالجين فى وقت واحد فى معالجة المريض الواحد . وأحياناً قد يقع المعالج فى غيبوبة وساطية تامة ، أو فى شبه غيبوبة . وغالباً لا يحتاج الأمر لأية غيبوبة بل قد تحتاج الحالة لمجرد قدرة عند الوسيط على التركيز العقلى Concentration مع إخلاء عقله من المشاغل والاتجاه بقلب نقى إلى القدرة الإلهية وهى فى النهاية مصدر كل علاج ، سواء أكان روحياً أم عضوياً . .

وفى بعض الأحيان قد يقتصر دور المعالج على تشخيص المرض عن طريق حاسة الجلاء البصرى أو السمعى مع وصف عقار طبى مألوف ، أو بدون وصف أى عقار . وعند وصف العقار يلزم استشارة طبيب أخصائى عادى لمعرفة مدى إقراره له .

لكن أغرب أساليب العلاج الروحى هو أسلوب « الجراحات الروحية » التى يمارسها أفراد قلائل من الفلبين والبرازيل ، بدون حاجة لاستخدام مشرط أو تخدير

أو تعقيم . وفى الغالب بدون أن يشعر المريض بأى ألم . وفيها يلتئم موضع الجراحة فوراً ، بدون خياطة ، وبلا حاجة لاتخاذ أى إجراء لاحق على ما سوف نقدمه فيما بعد عند الحديث عن « وضع العلاج الروحى فى الولايات المتحدة الأمريكية » .

ومقتضى ذلك أن العلاج الروحى — وإن كان الآن حقيقة مقررة — إلا أنه فى أية صورة من صوره لا يغنى عن العلاج الطبى العادى . فهو ليس أكثر من وسيلة من وسائل العلاج التى قد تنجح كما قد تفشل . وربما تنجح أحياناً فى أخطر الأمراض وتفشل فى أهونها شأناً . فليس ثمة علاج روحى مضمون فى أية حالة من الحالات ، لأن العلم لم يصل بعد إلى نواميس العلاج الروحى ، ولا إلى أى تحديد لنطاقه ، ولا إلى إخضاعه إل سبل تماثل بصورة أو بأخرى سبل العلاج الطبى العادى .

وكل ما لوحظ فى هذا الشأن أن ثمة أمراضاً معينة تعد أكثر استجابة للسبل الروحية من غيرها ، وأن ثمة أمراضاً قد لا تستجيب بسهولة لهذه السبل ، وبخاصة تلك التى عرف لها مصدر من ميكروب أو فيروس معين . وكلما ثبت أن أصل الداء اضطراب فى وظائف الأعضاء مجهول المصدر ، أوحالة مس أو استحواذ ، كلما كان ذلك أدعى إلى احتمال نجاح العلاج الروحى ولتفوقه فى هذا الشأن على السبل العادية المتبعة فى طب الأمراض العضوية والنفسية ، والتى لا يزال بعضها يتعثر فى سدود ضخمة من الجمود والعناد ، هى التى تفسر عجز سبله وقصورها الواضح .

وكل سبل العلاج الروحى يتعذر فهمها أو تعليلها بمعلوماتنا المحدودة عن القوانين الفيزيقية . بل إنها تتطلب أولا التسليم بما أعلنه كارل يونج — وهو أبرز علماء النفس منذ رحيل فرويد — من أن الروح ينبغى أن تعتبر « حقيقة وأمر واقع » لأنها تعمل بنشاط جم ، ولأنها بذاتها حقيقة فيزيقية لها قوانينها ، وطاقاتها ، وأسبابها ، وأهدافها ، وتطورها ، ومسالكها الخاصة المتميزة عن سائر الحقائق الفيزيقية الأخرى » وأنه عندما يتحدث عن أمر روحى « فهو يتحدث فى نفس الوقت عن أمر حقيقى ، رفيع ، موجود من قبل ، أو بالأدق رفيع من قبل أن يوجد » ! !

* * *

ولا ينبغى الخلط بين العلاج الروحى والعلاج بالإيحاء Suggestion ، وهذا الأخير قام ببحثه عدد من العلماء مثل ليبو Liebeault وبرنهايم Bernheim وأوجست فوازان A. Voisin. وشاركو Charcot فى فرنسا، وألبرت مول A. Moll. وشرنك نوتزنج Schrenk-Notsing فى ألمانيا ، وفوريل Forel فى سويسرا ، وفان إيدن Van Eden فى هولندا ، ووترستاند Wetterstand فى السويد ، وميلن براموبل Milne Bramwell ، ولويد توكى Llyod Tuckey فى انجلترا ، وهو متميز تماماً فى خصائصه وأسلوبه وآثاره عن العلاج الروحى .

وينتمى هؤلاء العلماء وغيرهم إلى مدارس متنوعة : منها مدرسة نانسى Nancy ، ومدرسة باريس Paris ، ومدرسة مسمر A Mesmer . والأولى والثانية منهما مدرستان للإيحاء الصرف . أما الأخيرة فقد ارتبطت بنظرية السيال المغناطيسى الذى يغمر الكون ، وبنظريات العقل الكونى العام ، وبنشاط الإشعاعات الكونية المعروفة والخفية.

المبحث الثالث

نحو نظرة جديدة

إلى العقل والمادة

تتطلب هذه الأساليب العلاجية — الفريدة فى نوعها — لتفهم كيفية عملها اعتناق نظرة جديدة من ناحية اعتبار العقل والمادة ، أو الروح والجسد العضوى ، كليهما مؤلفين من هيولى محايدة لا هى بالعقلية ولا هى بالمادية إذا عزلناها وحدها .

وبالتالى فإن هذه الهيولى المحايدة — بحسب وصف الفيلسوف الفيزيائى برتراند راسل Bertrand Russell — قد تتخذ وضعاً يبيح لنا أن نسميها عقلا ، وقد تتخذ وضعاً آخر يبيح لنا أن نسميها طبيعة مادية ، وقد تكون فى وضع آخر يجوز فيه الوصفان معاً .

وعلى هذا الأساس أقام راسل نظرية « الواحدية المحايدة » أو « الهيولى المحايدة » مستوحياً إياها من مقال مشهور كتبه الفيلسوف وليام جيمس William James

بعنوان « هل للوعى وجود ؟ » والذى استوحاه بدوره من أبحاثه المثابرة فى الظواهر الروحية[١]

وهذا هو نفس الاتجاه الذى انتهى إليه أيضاً كارل يونج من أن الروح تمثل وجهاً نوعياً aspect qualitatif للمادة و « أن الروح أو الوعى ليس شيئاً متميزاً عن المادة الحية ، إنه الوجه الواعى للطبيعة الحية Nature vivante » و « إن للمادة وجهاً آخر أيضاً هو الوجه الروحى Aspect psychique ، وأنها — أى المادة الصلبة — لا تمثل شيئاً آخر ، اللهم إلا أن تكون العالم منظوراً إليه من الداخل » . . .

من أقوال برجسون

وهذه النظرة الجديدة إلى العقل والمادة وثيقة الصلة بنظرة أخرى فى ماهية علاقة الإنسان بالكون بمقدار وثيق صلتها بالأساليب العلاجية الروحية عند رغبة تفهم كيفية عملها ، والنتائج المذهلة التى قد تحققها فى بعض الأحيان .

وهذه النظرة الجديدة عبَّر عنها الفيلسوف هنرى برجسون H. Bergson[٢] عندما أعلن أنه يعتبر أن الوظيفة هى أصل العضو ، وليس العضو هو أصل الوظيفة . بمعنى أن حاسة الإبصار هى أصل العين كجهاز عضوى فلا يصح أن نعكس القضية فنتصور أن العين هى أصل وظيفة الإبصار ، كما يذهب الناس خطأ فى نظرتهم السطحية ، التى هى من قبيل خداع الحواس .

فعندما تكون وظيفة العضو مريضة يمرض العضو نفسه ، وشفاء العضو رهن بشفاء وظيفته ، وليس شفاء الوظيفة رهناً بشفاء العضو . ولذا راح برجسون فى

---

(١) وهو معدود من أبرز الفلاسفة الذين أنجبتهم أمريكا حتى الآن (١٨٤٢ — ١٩١٠) . للمزيد عنه راجع مؤلفنا « فى الإلهام والاختبار الصوفى بين الفلسفة والتجريب» ١٩٨٦ ص ١٦٩ — ١٧٤ . وراجع أيضاً ما سبق فى ص ٢٠٣ — ٢١٠ .

(٢) يقول الدكتور زكريا إبراهيم فى تصدير كتابه عن « برجسون » « ليس هناك أكثر مما كتب عن برجسون فى اللغات الأجنبية ، فإن عدد ما ظهر من البحوث والدراسات عن فلسفته قد يبلغ عدة آلاف . . . » .

خطابه — عندما اختير رئيساً «لجمعية البحث الروحى » S. p. R. بلندن فى سنة ١٩١٣ يعلن بكل وضوح أنه :

« إذا اكتشفت القوانين العامة للنشاط الروحى انتقل الباحثون بعد ذلك من الروح المحض إلى الحياة ، فتكونت البيولوجيا ، ولكنها تكون عندئذ بيولوجيا حيوية مختلفة كل الاختلاف عن بيولوجيا العصر الحاضر . إذ تمضى من البحث وراء الصور المحسوسة للكائنات الحية إلى البحث عن القوة الداخلية غير المنظورة التى ليست هذه الصور إلا تجليات لها . فلئن لم يكن لنا الآن (فى سنة ١٩١٣) سلطان على هـذه القوة فلأن علمنا بالروح لا يزال فى المهد . . .

فإذا ما وجدت هذه البيولوجيا الحيوية ظهر معها طب يشفى أمراض القوة الحيوية مباشرة فيستهدف السبب لا النتائج ، يستهدف المركز بدلا من المحيط . ولعل المعالجة بالإيحاء ، أو قل المعالجة بتأثير العقل فى الروح بوجه عام (وهذا هو بيت القصيد فى النشاط الروحى) تأخذ أشكالا وأبعاداً لا نتصورها الآن . وعلى هذا النحو كان يمكن أن ينشأ علم النشاط الروحى ، وكان يمكن أن ينمو (وهذا ما تحقق فعلا فيما بعد وبشكل فاق كل تصورات برجسون فى سنة ١٩١٣) .

* * *

ثم يقول الفيلسوف العظيم « ولذلك فلو انصرف العلم إلى شئون الروح أول ما انصرف ، لظل غير يقينى ولا دقيق مهما تقدم . . ولعله ما كان يميز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب ، وبين ما ينبغى أن يقبل قبولا نهائياً .

أما اليوم — وقد أصبحنا بفضل دراستنا للمادة نحسن هذا التمييز ، ونتمتع بالمزايا التى تقتضيها — فإننا نستطيع أن نغامر بدون ما خوف فى هذا الربع الذى لم يكد يستكشف بعد ، ربع الوقائع الروحية. فلنتقدم فى جرأة عاقلة ، ولنلق عن أكتافنا تلك الميتافيزياء السيئة (الإشارة إلى علم ما وراء الطبيعة Metaphysics كما وضع أسسه فلاسفة الإغريق وبخاصة أرسطو وهو علم محض نظرى ، أو محض فلسفة كلامية ليست من العلم الوضعى فى شىء) ، فإن الميتافيزياء تعرقل تحركاتنا .

ويقيني أن علم الروح سيؤدى إلى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال »[١] .

ويراعى عند تقدير هذه الأقوال الصادرة عن أبرز فلاسفة القرن — أن برجسون لم يكن فيلسوفاً نظرياً ، بل كان فيلسوفاً وضعياً ، ومرتبطاً بمقتضيات المذهب الوضعى إلى أقصى مدى يمكن أن نتصوره . وكان ارتباطه هذا كامناً وراء اهتمامه الشديد بتحقيقات الظواهر الروحية التى كانت آخذة فى الانتشار السريع .

بل لقد دفعه اهتمامه البالغ بتحقيق هذه الظواهر إلى أن يصبح عضواً فى دائرة روحية خاصة بباريس منذ سنة ١٩١٤ . وكانت هذه الدائرة الخاصة مكونة منه ومن كامى فلاماريون C. Flammarion الفيلسوف وعالم الفلك الشهير ، وآرنو دى دى جرامون A. d Gramont عضو أكاديمية العلوم ، والدكتور رو Roux ، والدكتور مكسويل Marxwell المدعى العام ، وأوجين أوستى E. Osty الذى أصبح فيما بعد مديراً « للمعهد الدولى لما وراء الروح » .

وكانت هذه الجلسات الخاصة تعقد فى منزل شارل ريشيه Ch. Richet عضو أكاديميتى الطب والعلوم الحائز على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا . وظلت مثابرة لمدة أكثر من عشرين عاماً كانت كفيلة بإقناع برجسون بصحة هذه الظواهر ، وبدلالاتها المحتومة على خلود النفس الإنسانية . فتحول بدوره من اعتناق فلسفة للتطور — على مذهب سبنسر Spencer كما قال عن نفسه — إلى فلسفة باذخة خاصة به عن التطور الروحى لكل ظواهر الوجود ، ووضع فيها كتابه المشهور عن « التطور الخالق » .

وبسبب تحقيقاته فى الظواهر الروحية — أخذ برجسون يشيد بضرورة دراسة هذه الظواهر ، وضرورة توجيه عناية العلم والفلسفة معاً إلى الاهتمام بها[٢] ، وإلى

---

(١) عن كتاب « الطاقة الروحية » Energie Spirituelle
لبرجسون تعريب سامى الدروبى ص ٥٣ وما بعدها .

(٢) أليس مما يسترعى الانتباه أن المؤلفين المصريين فى فلسفة برجسون يتجاهلون تماماً دوره فى التحقيقات المعملية ! بل إنهم يتجاهلون تماماً كل شىء عن الفلسفة الروحية التى تكشفت عنها أية تحقيقات معملية أخرى ، وكأنهم يريدون أن يضربوا الحصار عليها ، بلا حكمة مفهومة ولا منطق مستساغ ! ! . . وهل هذا الحصار سيوقف تأثير هذه الفلسفة حتى فى الخارج ؟ ! وسينال من صحتها ومن صحة نتائجها الموضوعية العملية البالغة الأهمية والاتساع ؟ ! . .

ضرورة إعادة النظر فى تكييف طبيعة المادة ، وطبيعة الوعى ، وفى حقيقة الصلة بينهما . . . وصياغة كل هذه الأمور على أساس من تكييف روحى جديد ليكون بديلا للتكييف المادى الذى أخذ يظهر فيه مهلهلا ، كما ظهر للعديدين من الفلاسفة والعلماء .

عن صلة العلاج الروحى « بعلم النفس التحليلى »

وفى الواقع إن هذا التكييف الجديد للمادة الحية وللوعى ، وللصلة بينهما ، يقع وراء الخلاف الضخم الذى نشب بين يونج (١٨٧٥ — ١٩٦١) وبين فرويد (١٨٥٦ — ١٩٣٩) . والذى دفع يونج إلى الانفصال عن أستاذه فرويد ، بعد أن كانا زميلين يعملان معاً فى عيادة مشتركة للتحليل النفسى بمدينة زيوريخ Zurick بسويسرا .

وبعد هذا الانفصال تبنى يونج نظرة جديدة شاملة للكون ، ولعلاقة الإنسان بهذا الكون دعته إلى إنشاء مدرسة جديدة فى علم النفس ، بل الفلسفة الطبيعية أيضاً ، أطلق عليها مدرسة « علم النفس التحليلى » Analytical Psychology ، بدلا من مدرسة فرويد التى يطلق عليها مدرسة « علم التحليل النفسى » .

وقد شرح يونج أركان هذه المدرسة فى موسوعة نفسية تتكون من عشرين جزءاً يقع كل جزء منها فى حوالى ستمائة صفحة مخصصاً الجزء الرابع منها لنقد « مدرسة التحليل النفسى » فأهال عليها التراب ، ولم يبق منها شيئاً ، عندما هاجم نفس الأسس التى تقوم عليها . وهى أسس محض مادية لم يتسع فيها مجال يذكر للظواهر غير المألوفة التى هى موضوع الباراسيكولوجى ، والتى فتحت الباب على مصراعيه أمام قيام علم الروح Psychic Science بمفهومه الحديث[1] .

وبعد ما وجه يونج مدافعه — بعناية وإحكام — إلى مدرسة التحليل النفسى اضطر فرويد أن يعدل عدولا تاماً عن نظرته الضيقة الأفق إلى الكون ، وإلى علاقة الإنسان بهذا الكون . ونبذ — هو نفسه — عقيدة فناء النفس بالموت بل لقد راح يؤكد — بعد إنكار وتردد

---

(١) راجع ما سبق فى هذا الشأن فى الفصل الرابع من الباب الثالث (ص ٢١١ — ٢٢٢) .

داما طويلا — اقتناعه بدوام الحياة بعد الموت ، وبأن الموت هو « مجرد عودة للإنسان من الحالة العضوية إلى تلك الحالة اللاعضوية التى جاء منها » .

لذا كتب روبرت داونز Robert Downes فى كتاب له بعنوان « كتب غيّرت العالم »[١] ، قائلا إن فرويد قد انشغل فى أواخر حياته بغريزة الموت حتى جعلها على نفس المستوى من الأهمية الذى لغريزة الجنس .

ولم يكن هذا التحول سهلا ، بل لقد جاء نتيجة بحوث مثابرة فى أهم الظواهر الروحية ، ومنها بوجه خاص ظاهرة التخاطر Telepathy أى انتقال الفكر . كما جاء نتيجة اطلاعه على عدد من التحقيقات الجادة الأخرى فى هذه الظواهر ، والتى جاءت نتائجها متدفقة بشأن خلود النفس من بلاده النمسا ، ومن ألمانيا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وأمريكا وغيرها . . وهى نفس البحوث التى أقنعت قبله كارل يونج وتلميذه وشريكه فى عيادته للتحليل النفسى .

وما يعنينى هنا أن أسجله بوجه خاص هو أن كل أساليب العلاج الروحى وهى مغايرة تماماً لأساليب التنويم المغناطيسى تلتئم مع « مدرسة علم النفس التحليلى » لا مع « مدرسة علم التحليل النفسى » . وهذه الأساليب سرعان ما اجتذبت الدوائر العلاجية فى الغرب ؛ وأولها هو أسلوب العلاج الروحى الخاضع لنواميس روحية مستقلة تماماً عن تلك النواميس الفيزيقية التى كان الطب قد ربط بها نفسه حتى أوائل القرن الحالى .

أما فى بلادنا التعيسة فما يزال التعلق رهيباً بأهداب « مدرســة التحليل النفسى » رغم عدول صاحبها عنها وتخليه عنها . فلا يزال العدد الأكبر من المحللين النفسيين يصارع ضد تطور علم النفس ، كما لا يزال الأطباء العضويون يصارعون ضد تطور الطب والفسيولوجيا بوجه خاص ، وذلك على غير أساس من اطلاع خاص أو من منهج مقبول ! ![٢] .

---

(١) راجع عنه صلاح عدس فى كتاب بعنوان « ملامح الفكر الأوروبى المعاصر » ١٩٧٦ ص ٧٧٠ .

(٢) ولنا عند هذا الموضوع أكثر من وقفة فى الباب الحالى .

عن صلة العلاج الروحى بمشاعر المعالج والمريض

صلة العلاج الروحى وثيقة — كما قلت — بعلم النفس التحليلى الذى أسسه كارل يونج ، لا بعلم التحليل النفسى حسبما أرسى قواعده سيجموند فرويد ، لأن مدرسة علم النفس التحليلى قد سلمت بوجود الروح ، وبخلودها ، وبالعديد من صحة خصائصها التقليدية ، كما ألقت أضواء مكثفة جديدة على العديد من هذه الخصائص .

وذلك حتى وإن كانت هذه المدرسة قد سلمت فى نفس الوقت بأنه ما يزال أمامها مجاهل عديدة من أغوار النفس يتعين مرور وقت كاف قبل محاولة استكشافها ، خصوصاً ما تعلق منها بأغوار شطرها غير الواعى ، أى شطر اللاشعور ، وهو الذى يلعب الدور الأول فى مناشط النفس حسبما وصلت إليه مدرسة التحليل النفسى حتى فى إطارها التقليدى المألوف .

وهذا النظر قد أيدته اختبارات العلاج الروحى التى كشفت النقاب عن حقيقة خطيرة ، وهى أن نجاح العلاج الروحى لا يتوقف على مجرد توافر طاقة معينة — نصف فيزيقية ونصف روحية — — لدى وسيط العلاج ، بل لدى روحه أو أرواحه المرشدة أيضاً عند خضوعه للهيمنة الروحية .

وهذه الطاقة التى اكتشفها الباحثون — تحت وصف الطاقة الروحية Psychic Energy لها صلة وثيقة بمشاعر المعالج والمريض فى آن واحد نظراً لتفاعلها معاً ، وتتوقف فعاليتها على مدى تدفق الشعور بالحب عند أيهما ، أو تراجع هذا الشعور بالحب لسبب ما ، أو تحت تأثير مشاعر مضادة ، سواء أكانت راسخة فى نفس صاحبها أم عابرة .

ومن المؤلفات الحديثة التى ركزت على صلة تدفق مشاعر الحب بنجاح أسلوب العلاج الروحى واحد لمؤلف يدى ريك ا. واينمان Ric A. Weinman عنوانه « الشفاء بمقدور يديك »[1] .

---

(١) Your Hands Can Heal. (London 1988) Aquarian Press.

وهذا الكتاب يتناول — ضمن موضوعات أخرى — إعادة التوازن إلى هالة المريض للتغلب على ما قد يساوره من توتر عصبى بما يقتضيه من الكلام فى طبيعة الطاقة الروحية ، وضرورة ضبط قناتها أو موجتها ضبطاً صحيحاً ، وهو أمر يحدث عندما يسمح الإنسان لنفسه أن يكون نافذة أو قناة تتدفق الطاقة المعالجة من خلالها .

وهذه الطاقة بمقدورها أن تعالج حتى الأمراض العضوية عندما تتغلب على حالة التوتر العصبى ، والانفعالات الزائدة الطويلة الأمد ، التى قد تمثل جذور المرض العضوى .

وهذا التأثير العميق للطاقة المعالجة يمكن تفسيره بأن كل شيء فى الوجود مصنوع من طاقة . وقد أثبت أينشتين Einstein هذه الحقيقة رياضياً عن طريق معادلته المشهورة التى مقتضاها أن الكتلة تعادل مربع سرعة الضوء $E = Mc^2$ ، وبالتالى فأن كل مادة — ابتداء من الذرة إلى الفيل — مصنوعة من طاقة محبوسة [1] .

وثمة تساؤل هام قد يثار فى هذا الشأن هو : كيف نصل إلى شطر من تلك الطاقة حتى نستخدمه فى العلاج ؟ ويجيب المؤلف بأن ثمة سبلا عديدة يمكن استخدامها فى العلاج : وهى عقولنا ، وأخيلتنا ، وذكرياتنا ، وهواياتنا ، وانفعالاتنا ،وأجسادنا فكلها منافذ توصل إلى مصادر العلاج .

« وضبط القناة Channelling لا تقومون به بل أنتم تسمحون له فحسب أن يحدث ، حتى تقوم الطاقة المعالجة بعملية ضبط نفسها بنفسها . فأنتم مجرد المركبة التى تتحرك من خلالها هذه الطاقة » .

وبعدئذ يعالج المؤلف واينمان أهمية الدور الذى يلعبه الحب فى مجال العلاج ، وهذا الحب يلزم أن يكون غير مشروط . لأن هذا النوع من الحب هو الذى يتيح أفضل الظروف لقيام العلاج بدوره . ويقول إنك لست محتاجاً لأن تخلق هذا الحب غير المشروط ، بل أنت مطالب فحسب أن تعثر على المكان الصحيح الذى توجد به طاقة الحب بداخلك منذ الآن .

---

(١) راجع ما سبق عن أينشتين وعن صلة نظرية النسبية بالعديد من هذه الآفاق الجديدة ص٥٢—٦٠ .

فإذا كانت توجهاتك روحية فإن الحب غير المشروط بمقدوره أن يرى الكائن الروحى النقى المحب الذى يكمن فى زوايا النسيان (بداخل الشخص المريض) . وبمجرد اكتشاف ذلك فإنك تكون قد أنشأت صلة مباشرة بهذا الكائن على حقيقته ، وبالتالى عثرت على المفتاح الكامل لأى موقف علاجى .

* * *

وهذه الأمور التى تثار الآن — فى إطار العلاج الروحى — على أوسع نطاق وضعى — موضوعى تبين إلى أى مدى أصبحت قضية العلاج الروحى مركبة . وهى فى نفس الوقت مرتبطة بالنسيج الروحى — الفيزيقى للحياة بوجه عام ، ولصلتها بالنواميس الكونية التى تحكم نشاط هذا النسيج ، وهو من حقه أن يشد انتباه العلماء والباحثين فى أسراره إلى آخر مدى . وذلك لمحاولة تخفيف آلام الإنسانية المعذبة ، ودرء جانب هام من مصادر متاعبها وأهوالها .

وهذا القول كما يصدق على العلاج الروحى العضوى يصدق بنفس المقدار على علاج المتاعب العصبية والنفسية ، والتى هى أوثق اتصالا بمشاعر المريض من غالبية الأمراض العضوية الخالصة .

وهذه المتاعب العصبية والنفسية تلقى الآن ثورة جذرية فى أساليب التشخيص والعلاج ، بعد أن طفرت طفرات متلاحقة ، وفتحت آفاقاً جديدة فى تخفيف المتاعب المروعة على المرضى ، وعلى أقاربهم ، وعلى المجتمع بوجه عام .

وهذه الآفاق الجديدة متميزة عن أساليب الماضى التى كانت مرتبطة أكثر مما ينبغى بالفلسفة المادية عن الحياة والوجود . فجاءت هذه الآفاق لكى تضىء الطريق أمام الإنسانية جمعاء فى موكب تخفيف آلامها عن طريق درء ترهاتها وأوهامها البالية .

وصورة هذه الآفاق لا يمكن أن تتضح إلى المدى المطلوب إلا بعد مطالعة صفحات لفصل المقبل ، بما تستحقه من روية ، ومن إمعان كاف ، ومن تقليب للنظر على كافة وجوهه .

الفصل الثانى

وقفة عند ظواهر المس والاستحواذ

المبحث الأول

طائفة من البحوث الرائدة

لقد تبين من بعض البحوث الرائدة أن ثمة حالات معينة من الأمراض قد ترجع إلى بعض صور من المس Obsession أو الاستحواذ Possession كان يجهلها تماماً علما النفس والأمراض العصبية إلى عهد قريب ويعتبرانها من ترهات الماضى وأوهامه، لكنها وجدت قبولا بعد بحوث مضنية عند عدد من كبار العلماء .

ومن هؤلاء الفيلسوف وليام جيمس W. James الذى يعد من أبرز علماء النفس ، والذى قال بعد بحوثه الروحية « إن رفض التعاليم الحديثة اعتبار المس الروحى أمراً ممكن الحدوث رغم روايات الناس المتراكمة المبنية على التجربة الملموسة إنما هو فى نظرى مثل غريب للتحكم الشكلى فى المسائل العلمية . ترى هل يكون الإنسان علمياً فى الواقع ، إذا كان هو من العمى والجهل بحيث يرتاب فى إمكان ذلك ؟ ! » .

وكانت تحقيقات جيمس الروحية من ضمن الأسباب التى دفعته إلى أن يصف مؤلفه المعروف فى « مبادىء علم النفس[1] » بأنه أصبح يمثل « كتلة كريهة منتفخة مستسقية متورمة متعفنة تشهد أنه لا شىء هناك يسمى علم النفس ». ويقصد جيمس بذلك أن علم الروح Psychic Science قد حل محل السيكولوجى القديمة هذه .

وكذلك اتجه إلى نفس الوجه وليام مكدوجال W. Mcdougall العالم النفسى المعروف الذى يقرر فى مؤلفه عن « الجسد والعقل » أن وحدة الوعى unity of consicousness

---

(١) Principles of Psychology.

لا تنفى إمكان أن يرتبط أكثر من كائن روحى واحد بأعضاء جسدية واحدة . وهو يرى فى ذلك تفسيراً لتلك الظواهر الغريبة والخارقة للعادة التى بحثت بحماس كبير فى هذه السنين الأخيرة تحت عنوان « الشخصية الثانوية أو المزدوجة » Secondary or dual . كما قرر « أن الحالات المماثلة لهذه تذهب بعيداً لكى تبرر الاعتقاد فى استمرار حياة الشخصية الإنسانية بعد موت الجسد »[١] .

* * *

وقد فحص عدداً ضخماً من حالات المس والاستحواذ وأثبت صحتها أيضاً الطبيب العالم كارل ويكلاند Carl Wickland عضو « الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم » (المجمع العلمى الأمريكى) وعرضها فى كتاب له عنوانه « ثلاثون عاماً بين الموتى »[٢] . ومثله الدكتور تيتوس بول Titus Bull عضو نفس المجمع العلمى ، والذى لخص تجاربه الطويلة فى مؤلف عنوانه « تجارب فى علاج العقول المريضة »[٣] ونجح كلاهما فى علاج حالات كثيرة من المتاعب العصبية بعد أن فشلت فيها الوسائل المألوفة من إعطاء المسكنات ، والصدمات الكهربائية ، والتحليل النفسى .

ومثلهم أيضاً العالم المجرى ناندور فودور N. Fodor الذى كان محللا نفسياً معروفاً وعمل مديراً للبحث « بالمعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن[٤] ، كما كان عضواً فى « أكاديمية العلوم بنيويورك »[٥] ، وعضواً فى « الجمعية النفسية » بواشنطن وأستاذاً فى « المعهد التدريبى للتحليل النفسى » التابع « للجمعية الأهلية للتحليل النفسى »[٦] .

---

(١) Body and Mind p. 366.

(٢) Thirty Years Among The Dead,

وله ترجمة عربية بمعرفة صديقنا الراحل الدكتور على راضى .

(٣) Experiences in Healing Relative to Diseased Minds.

(٤) International Institute For Psychical Research.

(٥) New York Academy of Science.

(٦) Training Institute of The National Psychlological Association of Psycoanalysis.

وله بدوره عدة بحوث تؤيد نفس هذا الاتجاه منها مؤلفه فى « العقل المسكون »[١] ، (١٩٦٠) و « بين عالمين[٢] » (١٩٦٤) . ومنها مؤلف بالاشتراك مع العالم الروحى هيروارد كارنجتون عن « الأناس المسكونين[٣] » (١٩٥١) .

تعليق على النتائج

لا ريب أن هذه البحوث الحديثة نسبياً قد تلقى أضواء مكثفة على بعض المتاعب العصبية من ناحيتى المصدر والعلاج معاً ، ولكنها فى نفس الوقت تثير مشكلة حرية الإرادة لدى بعض الجناة من زوايا جديدة لم تكن مطروقة من قبل ، ولا تزال حتى الآن محل نزاع ، خصوصاً لدى أبناء مدرسة فرويد وأنصار مادية الوجود . وهـذه المشكلة هى هل ينبغى أن يسند التصرف إلى المريض بأعصابه أم إلى وعى آخر ؟ وإلى أى مدى يمكن أن يلغى هـذا الوعى الأجنبى إرادة المريض أو يتحكم فيها ؟ وهذا التساؤل يشبه إلى حد واضح التساؤل الحالى عن مسئولية المتهم الخاضع للإيحاء أو للتنويم المغناطيسى ، وهل ينبغى أن يتحمل أية مسئولية أم لا ؟ .

ولا ريب أن تحكم الوعى الأجنبى عن المريض يبدو فى حالات الاستحواذ الكامل أقوى مما هو فى حالات المس ، ففى الحالات الأولى يكاد يفقد المريض ذاكرته وبالتالى شخصيته على نحو ما . أما فى الحالات الثانية فإن المريض لا يفقدهما إلا فقـداً جزئياً[٤] . وهنا قد يثار أيضاً تساؤل من نوع آخر ، وهو هل يمكن أن يلعب قانون التوافق الروحى دوره أم لا ، وإلى أى مدى يؤثر هذا الدور فى مسئولية الجانى ؟ وكل هذه أسئلة حديثة لا تزال قيد البحث العلمى ، ولا تمكن الإجابة الدقيقة عليها الآن . وذلك لأن جميع الدراسات الروحية — رغم مضى أكثر من قرن ونصف عليها — لا تزال تعتبر فى مبدئها .

* * *

---

(١) The Haunted Mind.

(٢) Between Two Worlds.

(٣) Haunted People.

(٤) ولنا إلى إلى ذلك عودة فيما بعد فى ص ٢٩٢ — ٢٩٥ .

والبينة المستفادة من هذه الأبحاث التى جرت بمعرفة عدة علماء ثقات فى هذه الموضوعات لا تنحصر فقط فى احتمال شفاء حالات لا تحصى من المس أو الاستحواذ بأساليب وساطية ، لأنه لا يكون لها سبب فى المعتاد سوى جهل الروح الماسة ، أو ذعرها من الأبدية بلا داعٍ ، أو تعلقها الشديد بالشخص الممسوس ، أو ربما كراهيتها له ، أو نحو ذلك من أسباب لا يعرفها ولا يعترف بها أسلوب التحليل النفسى التقليدى .

ومما يقطع بصحة هذا الأسلوب الجديد — وبأنه يقوم على أساس من الواقع — أنه أمكن فى حالات عديدة التوصل بالسبل الوساطية إلى اسم الروح الماسة ، وتلقى معلومات دقيقة عن تاريخ حياتها ، وبعض سماتها ، وتاريخ رحيلها ، ومكان هذا الرحيل وظروفه . . .

ثم قام بعض الباحثين — ومنهم بوجه خاص كارل ويكلاند بالتحرى عن مدى صحة هذه البيانات بالأساليب المألوفة للتحقيق والاستقصاء : مثل الاستفسار من أسرة هذه الروح الراحلة ، ومن المستشفيات التى حدثت فيها الوفاة أحياناً . فكانت الإجابات مطابقة لما وصل إليه ويكلاند من بيانات ومعلومات بالسبل الوساطية ، خلال ثلاثين عاماً من البحث المثابر بمعرفة عضو فى « المجمع العلمى » أى بمعرفة شخص لا تعوزه الملكة العلمية ، ولا القدرة على تأصيل الأمور تأصيلا صحيحاً .

وقد أفردنا لهذه الأبحاث مكاناً كافياً فى كتاب « الجديد فى التكوين الروحى وأسرار السلوك بعد التحول من السيكولوجى إلى البار اسيكولوجى » (١٩٨٢) ، وذلك لفرط أهميتها من الناحيتين النظرية والمعملية [١] .

عن التمييز بين المس والاستحواذ

يستخدم علم النفس التقليدى تعبير المس أو الاستحواذ بمفهوم إمكان سيطرة

---

(١) راجع منه بوجه خاص الجزء ، الأول ص٧٤٧ — ٨٦٤ وذلك بالإضافة إلى ما سوف يرد من بيانات فى المبحثين القادمين من هذا الفصل .

فكرة خاطئة أو شعور وهمى ما على وعى إنسان يعانى من مرض عصبى . أما فى علم الروح أو فى علم النفس المتطور فإن هذا التعبير يعنى سيطرة كائن غيبى — على نحو ما — على جسد إنسان أو على وعيه محدثاً به أعراضاً أو متاعب معينة .

وقبل أن أدخل فى صميم الدراسات الحديثة فى ظاهرة المس والاستحواذ الروحى ينبغى أن أقول كلمة عابرة عن التمييز بينهما . وهذا التمييز — بحسب المفهوم السائد — هو كالآتى : أنه فى الحالين معاً يوجد تداخل بين وعى المريض ، وبين وعى آخر (أو أكثر من وعى) لكائن تخلى بالموت عن جسده العضوى وأصبح يجول فى الفضاء بكامل حريته ، وحسبما يتراءى له طبقاً لمستواه الروحى والخلقى ، وحسبما تهديه إليه ميوله وأهواؤه .

ففى المس الروحى يحدث صراع بين الوعى الأصيل وهو وعى صاحب الجسد العضوى الذى ما يزال حياً ، وبين الوعى الدخيل سواء أكان مفرداً أم متعدداً . لكن يظهر فى المس الروحى أن الوعى الدخيل ليس بمقدوره أن يسيطر تماماً على الوعى الأصيل ، ولا أن يلغى إرادته ، أو اتجاهاته ، أو رغباته ، بل يتجلى من خلاله فقط ، ويسيطر عليه جزئياً بدرجات تتفاوت من درجة واحدة إلى مائة درجة أو أكثر .

ونتيجة ذلك قد يكون الوعى الدخيل سبباً فى إحداث متاعب عضوية أو نفسية لصاحب الوعى الأصيل . وهى تتفاوت بدورها تفاوتاً ضخماً بحسب قوة المس وتراوحها على النحو الآنف الإشارة إليه . وتبدو بحسب ظاهرها أعراضاً عادية فينسبها الأطباء العضويون إلى مصادر عضوية ، أو نفسية — عضوية Psycho Somatic ويعالجونها بالعقاقير المألوفة التى لا يمكن أن تؤدى وظيفتها المطلوبة . وفى غالب الأحيان تكون مجرد مسكنات للألم ، أو مهدئات وقتية سرعان ما تفقد قيمتها بانتهاء الوقت المحدد لمفعولها .

وهذه الأعراض معرَّض لها كل إنسان ، وتحدث بكثرة تتجاوز بمراحل كثيرة مدى تقديرنا لها أو حكمنا عليها . وقد تزول تلقائياً بزوال حالة المس التى قد تنتهى من تلقاء نفسها . أو قد تطول لأمد طويل حتى تتدخل السبل الروحية لإنهاء أو لفك

المس على النحو الذى سنعرض له فيما بعد . بل ربما تتداخل فيها كائنات أثيرية راقية فتنهى المس من تلقاء نفسها حماية للضحية وأيضاً للروح الماسة بدافع من شعورها النبيل ، وهذه هى رسالتها الهامة فى أجواء الأثير الذى لا تمضى أوقاتها فيه هباءً .

والصلاة الحارة المخلصة — طبقاً لشعائر أى دين من الأديان — قد يكون لها دورها . هذا بالإضافة إلى بعض الأساليب التى تعرفها شعوب الشرق الأقصى بوجه خاص. ومنها التأمل Contemplation والتركيز الذهنى Concentration وبعض تدريبات التنفس واليوجا ، وغيرها . فقد يكون لها — هى أيضاً — أثرها فى إنقاذ الضحية من أعراضها وإنقاذ الروح الماسة من جهلها، أو من أهدافها التى تنافى فى غالب الأحيان القيم الخلقية الصحيحة .

هذا عن المس ، أما عن الاستحواذ ففيه تتمكن الروح صاحبة الوعى المخيل من السيطرة على الوعى الأصيل. وبالتالى هى قد تلغى شخصية هذا الأخير ، فتنال منها منالا يتفاوت فى مداه . وقد يصل فى أقصى درجاته إلى حد ظهور الأعراض التى يصفها علم النفس التقليدى بأنها اشكيز وفرانيا Schizophrenia أو ازدواج شخصيـــة . أو قد يطلق عليها أبناء مدرسة التحليل النفسى القديمة أوصافاً شتى من الأمراض العقلية أو العصبية التى منها الهستيريا ، أو الصرع ، أو بعض صور البارانويا ، أو القلق . . .

فأعراض الاستحواذ تكون فى المعتاد أكثر وضوحاً من المس وأقسى على الضحية. وهى أصعب أيضاً فى علاجها حتى مع اتباع الأساليب المتطورة الحديثة ، ومنها التنويم المغناطيسى مع إرجاع الذاكرة إلى الوراء ، ومع الاستعانة أحياناً بوسيط قدير مدرب للجلاء البصرى والسمعى ، وربما أيضاً للغيبوبة وللطرح الروحى . وربما أحياناً مع الاستعانة بأجهزة متطورة للكهربائية الاستاتيكية بعد أن حلت محل الصدمات الكهربائية التى انتهى دورها الآن فى الخارج .

ومن هذه الأجهزة جهاز ومزهرست Wimshurst الذى يعمل بالكهربائية الاستاتيكية . وقد بدأ فى استخدامه العلامة كارل ويكلاند Carl Wickland ، وكان

يساعد فى عملية فك الاستحواذ التى كانت تقوم بها طائفة من الأرواح المرشدة مستخدمة الطاقة الوساطية لزوجته آنا ويكلاند Anna Wickland وسيطة الغيبوبة[١] .

ماذا عن عامل الكبت الجنسى ؟

ومما ينبغى تسجيله هنا أن كل هذه الأمراض العصبية كان ينسبها سيجموند فرويد إلى عامل الكبت الجنسى الذى كان يغالى كثيراً فى قيمته . ولا يتجاهل علم النفس المعاصر أبداً دور هذا الكبت ولا ينفى صلته بالعديد من الأمراض النفسية والعصبية ، لكنه يسلم فى نفس الوقت بدور طائفة أخرى من العوامل الروحية التى منها المس والاستحواذ فى إحداث بعض هذه الأعراض .

ومع مراعاة أنه بالنسبة للروح الماس أو المستحوذ قد يكون عامل الكبت الجنسى — وآثاره المرضية — دفيناً عنده هو أيضاً ، ويكون له بالتالى صداه فى بعض أعراض المس والاستحواذ . وشأنه فى ذلك شأن سبق إدمان الروح الماس المخدرات أو الخمور ، أو التدخين ، أو بعض الميول الجنسية الشاذة كما سوف يرد فيما بعد .

فعامل الكبت الجنسى موجود فى بعض الأعراض لا فيها كلها ، وهذا ما لا ينازع فيه علم النفس المعاصر . لكنه يحاول أن يرسم لهذا الكبت إطاره الصحيح بغير مغالاة ، ولا تجاهل لدوره ، وذلك فى ضوء الاختبارات المعملية المثابرة ، والتى ترفض أسلوب الارتجال فى القول أو التسرع فى الاستنتاج كما كان يفعل فرويد أحياناً ، قبل أن يضع قدميه على طريق البحث الجاد فى الظواهر غير المألوفة .

وما يصدق فى هذا الشأن على تشخيص ردود الفعل الحقيقية للكبت الجنسى يصدق بنفس المقدار على تشخيص بعض حالات الشذوذ الجنسى . فقد تبين أنها

---

(١) راجع فى هذا الشأن كتاب « ثلاثون عاماً بين الموتى » المرجع السابق الترجمة العربية بمعرفة د. على عبد الجليل راضى القاهرة ١٩٦٨ .

فى بعض الأحيان — لا فيها كلها — قد تكون ذات صلة بظاهرة المس والاستحواذ ، وتحتاج بالتالى للحذر فى التشخيص وفى العلاج كما سوف يرد فيما بعد أيضاً[1] .

* * *

بقى الآن أن أعرض فى المبحث التالى تلخيصاً لدراسة مثابرة فى هذه الأمور كلها لأخصائية معاصرة فى التحليل النفسى وفى التنويم المغناطيسى ، ألا وهى الدكتورة إديث فيور Edith Fiore ، وسيلمس القارىء بنفسه أن هذه الدراسة من أنفع الدراسات فى هذه الأمور .

وهى بالتالى من ألزمها لاطلاع الأطباء العضويين والنفسيين إذا ما شعروا بأن من واجبهم متابعة ركب التحول العلمى الجذرى الذى يجرى فى العالم الآن . والذى يهدف إلى تخفيف آلام الناس ومتاعبهم عن طريق مواجهة الحقائق ، لا عن طريق الهرب منها كما كان يفعل علم النفس القديم ، بل والطب العضوى الذى أصبح فى بعض جوانبه بالياً بدوره . وهو يمر الآن بمرحلة مراجعة شاملة لهذه الجوانب ، خصوصاً بشأن بعض الأعراض النفسية — العضوية Psycho - Somatic من ناحية تشخيصها وعلاجها .

وعلى أية حال فاننا تلزمنا فى الشرق الأوسط نهضة حقيقية فى هذا المجال — مجال مواجهة المتاعب العصبية والنفسية بالذات — بأساليب فعالة . ولا تزال غالبية المعالجين النفسيين نتجاهل دور التنويم المغناطيسى الفنى فيه . بل لا تزال المكتبة العربية تفتقر إلى أى مرجع علمى يصح أن يطلق عليه هذا الوصف ، بينما تزخر مكتبات الخارج بالآلاف من المراجع القيمة فى جانبيه العملى والنظرى .

---

(١) ومع مراعاة أن بعض حالات الشذوذ الجنسى — لا كلها — قد تكون نابعة من حنين لا شعورى للذى الروح إلى ماضيها السحيق عند تغيير جنسها بسبب العودة للتجسد فى الذكورة بعد الأنوثة أو بالعكس (للمزيد راجع مؤلفنا « فى العودة للتجسد » طبعة ٣ سنة ١٩٨٧ ص ١٦٤ — ١٧٩ ، ٢٤٩ — ٢٥١ ، ٣٩٣ — ٣٩٥ ، ٤٧٣ — ٤٨٤) .

المبحث الثانى

دراسة غنية بالوثائق لأخصائية نفس معاصرة

المطلب الأول

جولة عامة فى هذه الدراسة

تمهيـــد

ظاهرة المس أو الاستحواذ الروحى قديمة قدم الإنسان ، وكانت كل المجتمعات القديمة تؤمن بها . بل لقد كانت العقائد القديمة تغالى فيها فتسند كل الأمراض النفسية والعضوية إلى المس الروحى .

وبعدئذ حدث تحول هام فى الطب فأصبح يرفضها من أساسها استناداً إلى دعوى اسمها مادية الحياة والوجود ، بالأقل منذ عهد الثورة الفرنسية أى منذ قرنين ماضيين تقريباً . لكن بعد بدأ عصر التحقيقات الروحية منذ منتصف القرن الماضى اتجه لفيف من أبرز الباحثين إلى الاقتناع بصحة بعض حالات المس والاستحواذ نتيجة اتساع نطاق الباراسيكولوجى ، حتى لقد أصبح بمثابة منهج شامل لجميع العلوم المعاصرة تقريباً ! !

ومن أحدث الدراسات فى هذا الشأن دراسة لعالمة أمريكية أخصائية فى علمى التحليل النفسى والتنويم المغناطيسى معاً ، هى الدكتور إديث فيور Edith Fiore . فهذه الطبيبة بعد أن درست قضية العودة للتجسد واقتنعت بصحتها — نتيجة تجاربها الخاصة فى التنويم المغناطيسى مع مرضاها — وضعت كتاباً عنوانه « لقد كنت هنا من قبل »[1] ، وهو يمثل نظرات جديدة — فى علم النفس إلى قضية الوجود السبقى .

---

(١) You Have Been Here Before.

ثم قامت بدراسة مشكلة المس الروحى والاستحواذ غير مرتبطة مبدئياً بأية عقيدة فى هذا الشأن فانتهت إلى صحة هذه الظاهرة ، واضعة فيها مؤلفاً عنوانه « الميت القلق »[١] الذى صدر فى سنة ١٩٨٧ .

والمؤلفة حاصلة على دكتوراه فى علم النفس المعملى من جامعة ميامى Miami ثم تخصصت فى التنويم المغناطيسى من « معهد إيزالن »[٢] . وحازت سريعاً سمعة ضخمة فى العـــلاج النفسى المغناطيسى فى مدينة ساراتوجا Saratoga بولاية كاليفورنيا California منذ أربعة عشر عاماً سابقة على صدور كتابها الأخير هذا .

ريموند مودى يقدم هذه الدراسة

وقام بتقديم هذا المؤلف القيم الدكتور ريموند ا. مودى Raymond A. Moody أستاذ التحليل النفسى بجامعة كارولينا الشمالية N. Carolina بالولايات المتحدة ، والذى أصبح الآن صاحب سمعة عالمية بسبب تحقيقاته الحديثة فى ظاهرة « رؤى المحتضرين » التى هى موضوع الباب المقبل برمته[٣] .

وفى مقدمة هذا الكتاب « الميت القلق » يتساءل ريموند مودى عما إذا كان بمقدور روح — تخلت عن جسدها المادى وأصبحت فى العالم التالى — أن تحرز سيطرة على عقل كائن إنسانى حى ، إلى حد أن تسبب له قلقاً فى صيغة اضطرابات فى الوعى وفى السلوك ؟ .

---

(١) The Unquiet Dead.

(٢) Isalen Jnstitute

وهو معهد خاص بالبحوث النفسية بوجه عام وبدون ارتباط مبدئى بأية مدرسة فى علم النفس، بل إن أسلوبه هو الحياد التام بين المدارس المختلفة للوصول إلى أصح الآراء فى طبيعة التكوين النفسى أو الروحى للانسان .

(٣) وهى موضوع كتاب مستقل عنوانه « حياة بعد حياة » Life After Life الذى ترجم إلى أكثر من ثلاثين لغة حية حتى الآن ! ! وطبع أكثر من مائة طبعة ! وسوف نقدم له تلخيصاً وافياً فى الباب المقبل .

« وبرغم هذه الحقيقة — وهى أن علم النفس الغربى والطب فى جملته قد تجاهل هذا الاحتمال بوصفه غير جدير بالاعتبار الجاد — إلا أن الكائنات الإنسانية التى تنتمى إلى ثقافات متعددة وخلال آلاف من السنين كانت تلح على أن هذا الاحتمال حقيقى . بل لقد عرضوا فى هذه الثقافات وسائل متنوعة لفك الاستحواذ وصوراً شتى من التعزيم Exorcism لشفاء أعراضه ، وكثيراً ما نجحوا فى هذا الشأن ولو بحسب الظاهر . وبصراحة ليس « لدىَّ » أية فكرة عما إذا كان الاستحواذ يمثل أمراً حقيقياً أم لا ، ولكنى الآن أعرف أمرين :

أولهما : أننى صادفت فى عملى — شأن عدة محللين نفسيين آخرين — عدداً صغيراً من حالات محيرة تماماً كان يبدو فيها المريض كما لو كان يتألم من تغير غريب فى الوعى . وهو تغير لا يتسق — فيما يبدو — مع أية طائفة من الأمراض العقليـــة التى نعرفها ، لكنه يشبه وصف حالات « الاستحواذ » كما نجدها فى كتابات العصر الوسيط .

وثانيهما : أنه من الواضح تماماً أن الأشخاص الذين يعالجون كما لو كانوا يعانون من استحواذ أى كائن عليهم يروون أحياناً روايات ألمية عن أعراضهم التى كانوا يشكون منها .

ومن الواضح أن أى واحد من هذين الأمرين لايعنى بالضرورة أن الاستحواذ أمر واقع بالمعنى الدقيق ، لكن اجتماعها معاً من شأنه أن يرشح للقول بأننا قد نكون نتعامل مع صور متنوعة من الوعى الإنسانى مستقلة عن المرض العقلى ، وتستوجب البحث فى طبيعتها .

ومن الغريب أنه لم يكن من المألوف عنـــد الإخصائيين فى علم النفس منذ مطلع القرن العشرين أن يستكشفوا — بأسلوب حذر ومدقق — الحالات العديدة غير المألوفة — وأحياناً — المثيرة — من تغيرات الوعى الإنسانى . وفى هذا المناخ كان العمل المبكر الرائد لفيلسوف مدرسى من طراز وليام جيمس W. James محلا للرفض والتحدى بمعرفة أشخاص كانوا يقولون جادين إن دراسة الوعى المتغير

محالة ، وأن الشيء الوحيد الذى يمكن دراسته — وينبغى أن يجرى تحت عنوان « علم النفس » — هو ذلك السلوك الذى يمكن مراقبته .

لكننا الآن نشاهد تغيراً فى هذا المنهج ؛ ونرى أن عدداً ضخماً من الأخصائيين — الجادين المدربين جيداً فى علمى النفس والطب — يعمل بنشاط فى دراسة هـذه الحالات الشاذة من تغير الوعى . ولقد قامت زميلتى وصديقتى الدكتورة إديث فيور بدراسة بالغة الأهمية لقضية من أكثر القضايا المتنازع عليها ، وهى تلك التى تتناول اللغز القديم بشأن الاستحواذ . وسواء أكنت لا تملك بعض تساؤلات أو تملكها مثلى بشأن مدى صحة الاستحواذ ، فإنك سوف تستهويك هذه البيانات الحية المقنعة عن استكشافاتها فى منطقة تقع على الحدود بين عقل الإنسان وروحه » .

من تصدير المؤلفة

وفى تصدير هذه الدراسة تقول الدكتورة إديث « إننى لا أحاول فى هذا الكتاب أن أثبت وجود الأرواح ، ولا أن أثبت أن أى واحد من مرضاى كان « مسكوناً » . لكننى بالأكثر أحاول أن أسرد عليك ما يجرى يومياً فى مكتبى ، وأن أقدم أسلوباً للعلاج جديداً ، وفعالا ، ومنطوياً على مفاهيم قديمة من خلال اتباع أسلوب القرن العشرين فى العلاج المغناطيسى .

ومرضاى وأنا نستخدم الفرض السائر عن دوام الحياة بعد موت الجسد . وخلال السنين الماضية روى لى أشخاص عديدون أنهم اختبروا الإحساس بأرواح أعزائهم الراحلين ، وأحياناً بعد وفاتهم رأساً . وغالباً كان ذلك مجرد إدراكهم لوجودهم معهم .

وفى حالات أخرى رؤوهم رؤى العين أو سمعوهم أو شموا رائحة ما كانت تميزهم : مثل رائحة عطرية أو رائحة التبغ الذى كانوا يحبونه . . . ولم تكن هذه الأرواح أرواحاً هائمة لكنها جاءت لكى تقول لهم « وداعاً » ! أو كانوا بمثابة زائرين من عالم الروح لكى يطمئنوهم أو يساعدوهم .

أما الأرواح التى لم تحقق انتقالا ناجحاً إلى الحياة الأخرى فهى تلك التى سببت

بعض متاعب بالتأثير فى بعض « أشخاصى » بطريقة ضارة ومدمرة عن طريق الاستحواذ على ضحاياها .

وبمساعدة تلك الأرواح المستحوذة فى أن تبارح المريض أمكن إبعاد آثارها المدمرة عندما تغيرت بطريقة مأساوية حياته . ولأن إنهاء هذا الاستحواذ Desobsession يجرى فإننى شعرت بالحاجة لوضع هذا الكتاب .

وما تقرؤه فيه قد يزعجك لكننى أؤمل أن يساعدك عن طريق تفسير ما تكون قد اختبرته بنفسك أو مع الآخرين . فهو سوف يقدم أملا بأن المشكلات التى كانت تبدو حتى الآن غير قابلة للحل يمكن أن تحل ، وأن بالمقدور العثور على « تقنيات » Techniques لإنجاز هذا الهدف (أى على سبل علمية متطورة) . وبالأقل قد تربح وسيلة جديدة لتفهم السلوك الإنسانى . وما سوف يتكشف لك يمكن أن يدعوك أيضاً إلى أن تفتح ذهنك لإمكان استمرار الحياة بعد الموت ، وهذا الاعتقاد بذاته يمكن أن يكون ذا تأثير عميق وهادف جداً فى حياتك .

وإننى أشاطر أساليبى العلاجية مع المعالجين غير المحترفين . وأيضاً مع المحترفين الذين يرغبون فى إدماجهم معهم فى التسلح بهذا السلاح الجديد . وذلك بمعنى أن بعض الفصول قد يصلح للنظر بوصفه فصولا تدريبية للمعالجين المحترفين .

والمادة التى استخدمت فى هذا الكتاب « الميت القلق » مادة شخصية جداً وحساسة لأصحابها ، إلى حد أنه كان من الأمور الهامة والضرورية أن أحمى مرضاى من إذاعة اسمائهم . ولهذا السبب أخفيت شخصياتهم فقط ، مع استبقاء تلك الاختبارات الأساسية التى قد مروا بها .

والعديد من منطوق الأقوال التى من شأنها أن توضح حقيقة الحالة كانت مكررة وغير مترابطة ، لكنى مع ذلك طبعتها فى سبيل خدمة المزيد من الإيضاح ، ومن بيان القواعد والأصول .

وغالبية الحالات التى ستقرأها حالات تتجه إلى هدفها مباشرة ، وغير معقدة

فى حلولها . وإحداها تتضمن ارتباطات بين الشخصين الأساسيين : وهما المريض والروح الماسة وتذهب بهما إلى حياة سابقة . وأنت لست بحاجة مع ذلك لأن تؤمن بالعودة للتجسد للإفادة من الإنجازات أو من الأساليب التى سوف أصفها فيما بعد . والآن دعنا نتفحص دور الاستحواذ الروحى فى حياة الإنسان ، وسوف يقودك الفصل الأول إلى مدخل هذا الموضوع المحير والمذهل » .

طائفة من موضوعات هذه الدراسة

وبعد هذا التصدير تعالج المؤلفة جملة موضوعات أولية فى تفهم الاستحواذ منها « مقدمة للاستحواذ » ، ثم « نقلة من الطبيعى إلى ما فوق الطبيعى » ، ثم « ملاحظات تاريخية عن الاستحواذ » ، ثم « ماذا يحدث عندما تموت؟ » ، ثم « لماذا تظل الأرواح بيننا ؟ » ثم « آثار الاستحواذ » ، ثم « دراسة لحالة آن » ، ثم « دراسة لحالة بيتر » . . . وهكذا تواصل دراساتها لعدة حالات لكى تنتقل إلى علاج « دخول الروح » ، ثم إلى « علاج تقصى استحواذ الروح » ، ثم « كيفية إنهاء الاستحواذ » . ثم تعالج « كيفية حماية نفسك من الكائنات الغيبية » . ثم تعالج « كيفية حماية منزلك من الأرواح الضارة وتحريره منها » ، ثم تقدم بعض « أفكار لاحقة عن الميت القلق » ، ثم تضع فصلا عن « بعض الأسئلة وأجوبتها » ، ثم تضع قائمة بشرح المصطلحات العلمية الحديثة الخاصة بهذا الموضوع ، وقائمة أخرى بأكثر من مائة مرجع فيه .

المطلب الثانى

صلة الاستحواذ والمس

بالمتاعب العضوية والعصبية

تمهيد

لعل أهم موضوعات كتاب إديث فيور هو صلة الاستحواذ أو المس بالمتاعب العضوية والنفسية التى تصيب الإنسان . وفيها تقول المؤلفة — كآخرين غيرها — إن الكائنات

الهائمة على وجهها Earthbound — سواء أكانت متحررة من الجسد أم ملتصقة بجسد أحد الآدميين — يبدو أنها تظل بالضبط على نفس حالتها كما كانت منذ لحظات قبل موتها .

وتبدو متجمدة كما كانت خلال إقامتها فى العالم الفيزيقى ، فهى لا تتغير ولا تستفيد من أى اختبار تمر به . وتظل متمسكة بكل أوجه سلوكها السابقة ، وبكل أحكامها المسبقة على الأمور ، وبكل هواياتها ، ومهاراتها ، واهتماماتها ، ومخاوفها ، وتطلعاتها . وإذا كان موتها مصحوباً بآلام عضوية ، فإن هذه الآلام قد تلازمها وربما على مدى عصور عديدة . وإذا ماتت مخدرة بمخدر ، أو بخمر ، أو بعقاقير غير مشروعة كانت تتعاطاها قبل الموت ، فإنها تظل واقعة تحت تأثيرها طالما ظلت هائمة على وجهها فى الأرض . وإذا كانت الكائنات الماسة قد قارفت الموت انتحاراً فإنها تستمر شاعرة بالأسى بصرف النظر عن مشاعر المضيفين (أى ضحاياها) .

* * *

والاستحواذ على درجات : فهو يتراوح بين استحواذ تام تقريباً ، وفى هـذه الحالة يكون الكائن المستحوذ قد أحل نفسه حلولا كلياً أوقوياً محل الضحية التى يتراجع تأثيرها إلى الحد الأدنى . ومن العوامل التى قد تحدد مدى الاستحواذ القوة الذاتية للضحية عند مقاومتها لقوة الروح المستحوذة ، وكذلك الظروف التى قد تضعف هذه الأخيرة مثل القلق ، والإدمان الشديد للعقاقير ، والمرض . . . الخ .

وبمقدار ما تفقد الضحية قدرة السيطرة على وعيها بمقدار مايتزايد تأثير أرواحها المستحوذة . فإذا كانت الضحية تتعاطى الخمور ، وخصوصاً عندما تصبح مخمورة ، فإنها على غير إرادة منها تمنح الكائنات المستحوذة سلطة الرقابة عليها . فحالتها تشبه حالة الإظلام الكامل — حتى وإن كان مؤقتاً — أى تشبه حالة استسلام للوعى . ولذا فإننا أحياناً نسمع فى وصف شخص سكير « إنه عندما يسكر يصبح إنساناً مختلفاً تماماً » وفى الواقع هو كذلك لأن دوره قد اختزل إلى الصفر فى أثناء السكر .

ومن العوامل الهامة فى الاستحواذ تعين متى يحدث ؟ فثمة لفيف كبير من « مرضاى » ضحايا للاستحواذ منذ كانوا أطفالا صغاراً . خصوصاً بعد إجراء جراحات مثل استئصال اللوزتين ، أو فى أثناء الإصابة بأمراض قاسية . فالالتصاق يروح فى هذا العمر المبكر ، والنمو معها يجعل من المحال تقريباً على ضحايا الاستحواذ أن يتعرفوا على حدود شخصياتهم الخاصة مستقلة عن المستحوذين .

فأحياناً « أسمع » شكاوى من بعض مرضاى على هذا النحو : « لقد كنت كثيراً ما أشعر بمزاج عنيف » ، أو « أن أمى روت لى أننى كنت أشعر بصداعات تسير بخطى قصيرة قلقة (كخطى الأطفال المتعثرة) » . وعندما يحدث الاستحواذ فى السنين الأولى قد يصير ضحية الاستحواذ فيما بعد خائفاً من تخلى الروح عنه ، لأنها إذا تخلت عنه « فقد لا تترك شيئاً ما وراءها » أو « قد لا أدرى من أنا » ، أو « لأننى قد أصبح وحيداً »[1] .

والاستحواذ يضعف من هالة الطفل، وقد يصنع مناخاً مناسباً لاستحواذ آخر لاحق . ولقد « اكتشفت » ما يفيد أنه إذا ما حدث الاستحواذ فى السنين المبكرة ، أو حتى فى سنى المراهقة فإنه يكون استحواذاً متعدداً ، وكل استحواذ منها يزيد من تصدع الهالة ، ومن قدرتها على حماية صاحبها .

ومن جانب آخر ، فإن الاستحواذ إذا حدث فى سن متقدم ، تكون الفروق فى الشخصية بين ما قبل وما بعد الاستحواذ متمايزة بشكل أوضح . وفى هذه الحالات أسمع من المرضى تعليقات على هذا النحو : « لم أعد أبداً إلى حالتى كما كنت منذ الحادثة » أو « أننى كنت دائماً طفلا سعيداً ، ثم محبوباً فى مدرستى العليا . لكن منذ ثلاثة أعوام مضت بدأت أغرق فى هذه المشاعر السوداء » . وخصوصاً كنت أسمع ملحوظات مثل هذه « أنا لست أنا ، فإنه كان لا يمكن أبداً أن أفعل شيئاً كهذا ، لكننى فعلته » أو « إن زوجى يقول إننى أشبه شخصين مختلفين » ، أو « إننى أحوز شخصيات متعددة » .

---

(١) نفس المرجع ص ٣٤ .

وفى غالبية الحالات يوجد غموض فى الشخصيات ، بل إن إدراك الاستحواذ فى حد ذاته قد يكون أمراً صعباً ، بل قد لا يدرك على الإطلاق[١] .

عن الاستحواذ من الجنس المقابل

وعندما يكون الاستحواذ من الجنس المقابل فإنه قد يحدث تأثيراً فى إفراز الهرمونات ، وغالباً ما يكون هذا التأثير سلبياً . وبعض الاضطرابات المرتبطة بالوظائف الجنسية قد يتحسن عند الإنهاء الناجح للاستحواذ . وعند مرضى عديدين فإن هذا النوع من الاستحواذ كان يبدو سبباً واحداً كائناً وراء تراجع قوة الدافع الجنسى

وكذلك فإن الاستحواذ الروحى بمعرفة الجنس المقابل قد ينجم عنه توتر وتباعد فى العلاقات بين الأزواج وبين الأقارب . وكثيراً ما تكره الأرواح المستحوذة أزواج الضحايا بل قد تحقد عليهم . وعندما يتقبل الضحايا هذه المشاعر الحاقدة كما لو كانت تنتمى إليهم تحدث المتاعب ، وتتصدع العلاقات

وفى حالة من بين الحالات التى مرت بى كانت الضحية أنثى . وكان الاستحواذ قاسياً بمعرفة روح غضوب جداً ، ومدمن مخدرات ، وأصبح ذا حقد متزايد نحو زوجها. فتدهورت العلاقات بينهما إلى حد الانفصال وربما الطلاق رغم نصيحتى لها بعكس ذلك .

وعندما يكون الاستحواذ من الجنس المقابل فإنه قد يؤدى أيضاً إلى شطر هام من الخلط فى « الهوية الجنسية » ومن ذلك « المثلية الجنسية » وغيرها من صور الشذوذ الأخرى ، والتى قد تمثل النتائج المتطرفة لهذا النوع من الاستحواذ[٢] .

---

(١) نفس المرجع ص ٣٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٦ . ويراعى أن التسليم بأن بعض المتاعب الجنسية قد يكون مصدره حدوث مس أو استحواذ روحى لا ينفى احتمال أن يكون بعضها الآخر ناجماً عن مصادر عضوية أو عصبية خاصة بالمريض نفسه . بما فى ذلك أعراض الاستحواذ الجنسى أى ارتباط عقل المريض بالانفعال الجنسى ارتباطاً مغالى فيه ، وهذا هو ما تعنيه مدرسة التحليل النفسى التقليدية بهذا التعبير قبل أن يتسع مفهومه فى إطار « علم الروح الحديث » .

عن المتاعب العضوية

ثم تقول المؤلفة إن عملية الاستحواذ تسبب بذاتها إجهاداً للضحية ، وأحياناً هزالاً . وكل ضحايا الاستحواذ الذين « عالجتهم » سجلوا تراجعاً فى مستوى الطاقة عندهم ، بعبارات متنوعة (تسردها المؤلفة) .

ويبدو أن الأرواح تحتفظ بنسخة من أجسادها العضوية كما كانت عليه بالضبط عند الموت ، وهذا من شأنه أن يؤثر فى أعضاء الضحايا الأحياء . . .

ولهذا فإن الاستحواذ قد يؤدى إلى ظهور أعراض عضوية من كل الأنواع : آلام أكثرها آلام صداع بما فيها آلام الصداع النصفى ، واحتباس الماء فى الجسم P. M. S With edema ، وتقلص العضلات ، ونقص الطاقة أى الإجهاد ، والأرق ، والبدانة وما قد ينجم عنها من ارتفـــاع فى ضغط الدم ، والـــربو ، والحساسية . . . الخ .

ثم تستعرض المؤلفة بعض حالات خاصة لأعراض أخرى لها صلة بالاستحواذ مرت بها . منها حالة من تدفق العرق لم تشفَ منها الضحية إلا بعد فك حالة الاستحواذ. وحالة ثانية من آلام عرق النساء لازمت سيدة لمدة خمسة عشر عاماً ولم تشفَ إلا بعد فك الاستحواذ . وحالة ثالثة من ألم مزمن فى الرقبة مع إحساس بالاكتئاب شفيت بعد فك حالة الاستحواذ التى تبين منها أن الروح المستحوذ قد انتحر بشنق نفسه فى السجن، ثم أمكن التخلص منها عندما تمكن الراحلون من أقارب المنتحر من اصطحابه إلى عالم الروح ، فشعرت الضحية بالراحة العضوية والانفعالية بعد ما عانت منها على مدى عدة سنوات .

ومن ضحايا الاستحواذ من كانوا يشعرون كما لو كانت ثمة أحجار تسقط عليهم، أو بأنهم معلقين ، أو بأنهم سكرانين بدون سبب منطقى . وفقط بعد الفك الناجح للاستحواذ عرفوا المسئول عن هذه الأعراض ، وتحرروا فى النهاية منها .

وعندما يكون الاستحواذ بمعرفة روح شخص مسن فإنه يعطى أعراضاً شائعة

عند المسنين ، مثل ضعف البصر ، والآلام المتصلة بالضعف الشيخوخى العام .

وجدير بالذكر أن المؤلفة تصر على أن أسلوب فك الاستحواذ لاينبغى أن يكون بديلا عن الرعاية الطبية الجيدة (بمعنى أنهما ينبغى أن يجريان معاً للوصول إلى أحسن النتائج)[١] .

وضرورة الجمع بين العلاج العضوى والروحى حتمية والتقى عندها كل الباحثين العلميين حتى بالنسبة للأمراض العضوية . ومن باب أولى بالنسبة للمتاعب النفسية والعصبية ، حتى تلك المتاعب التى قد يتصور التحليل النفسى أنه وصل فعلا إلى إماطة اللثام عنها ، ومواجهتها بأساليبه التى أصبحت الآن بالية تماماً .

عن المتاعب العصبية

ثم تقول إن ثمة متاعب عصبية كثيرة العدد تنجم من تداخل الأرواح ، وأكثرها شيوعاً هى نقص القدرة على التركيز أو شرود الذهن ، كما عبَّر بعض المرضى بتعبيرات مختلفة . وثمة متاعب أخرى مثل متاعب الذاكرة ، أو متاعب الخروج من المآزق البسيطة... وفى « اختباراتى » الخاصة قابلت حالات لمرضى كانوا ينسون حتى المواعيد المتفق عليها بينى وبينهم لمباشرة العلاج ، وهو ما يعكس مقاومة الروح الماس لعملية فك المس أو الاستحواذ . وكان النسيان ظاهراً بوجه خاص عندما كنا نتعامل مع كائنات عنيدة .

والسبب فى مشكلة النسيان هنا هى أنه يوجد شخصان — أو أكثر — يقطنان نفس الجسد ، وكل واحد يتصرف بما يتراءى له من آن إلى آخر . فالروح المستحوذ قد يشعر أنه بحاجة إلى « آيس كريم » فتتجه ضحية الاستحواذ إلى باب « الفريزر » ولا تقدر أن تتذكر لماذا تفتحه .

وهذا وضع يتوقف على الكيفية التى يتدخل بها كل واحد فى تفكير الآخر . وفى بعض الحالات يتغلب تفكير الروح المستحوذ على الضحية ، وفى حالات أخرى يحدث

---

(١) عن نفس المرجع ص ٣٦ — ٣٨ .

العكس فيسيطر عقل الضحية على الروح بدون أن يحدث أى توقف فى عقل الضحية . وقد لاحظ بعض الضحايا الذين كانوا ينعمون قبل الاستحواذ بقدرات خاصة فى الرياضيات أو فى الإلقاء ، أنهم فقدوها بعد الاستحواذ .

عن المتاعب الانفعالية

تتأثر الانفعالات دائماً بالاستحواذ ، وقد أمكن تسجيل عدة حالات من الخوف ، ومن النفور الذى لا مبرر له من بعض الأشياء Phobias ، وقعت بسبب الاستحواذ حتى عند أولئك الضحايا الذين أقروا بمسئوليتهم عن هذه الانفعالات . . .

وهذا النفور من بعض الأشياء أو الأوضاع ينتمى منطقياً إلى الظروف الحقيقية التى لازمت الإنسان فى اختبار موته السابق[1] . فإذا كان الشخص المستحوذ فى موقف مماثل فإن جميع المخاوف الأصلية ترجع إليه ، وعندما يشعر بها من هو ضحية الاستحواذ Possessee يتصور أنها مخاوفه الخاصة ، وذلك لأنه لا يدرك أنه ضحية استحواذ .

ثم تسرد المؤلفة بياناً عن حالة من هذا القبيل، وتستطرد قائلة إن صور القلق أمكن تسجيلها فى عدة حالات عند الأرواح التى لا تدرك أنها قد « ماتت » (أى تخلت عن أجسادها العضوية) . ومن الذين ماتوا منتحرين من ظلوا هائمين فى العالم الدنيوى ، لأنهم كانوا مذعورين من خوف الذهاب إلى الجحيم .

بل لقد كانوا مملوئين يأساً إلى حد أنهم أصبحوا لا يرون مساعديهم الروحيين وأعزائهم الذين يريدون معاونتهم . ولأنهم ما يزالوا فى « حالة انتحار » فقد صاروا مصادر تهديد حقيقية بالنسبة لضحاياهم ! واختبارات إرجاع الذاكرة إلى الوراء Rgreesions to past lives بينت كيف أن أمثال هذه الكائنات البائسة قد تجر ضحاياها إلى الانتحار بدورها[2] .

---

(١) نفس المرجع ص ٣٨ — ٣٩ .

(٢) للمزيد فى موضوع « إرجاع الذاكرة للوراء » راجع مؤلفنا « فى العودة للتجسد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم » طبعة ٣ سنة ١٩٨٧ ص ١٦١ — ٢٨٦ .

عن إدمان المخدرات والخمور

يلى الشعور بالقلق رأساً حدوث أعراض على نطاق واسع عند الاستحواذ الروحى للتعلق بإدمان المخدرات والخمور . فبمجرد ما ينجح روح شخص مدمن فى الاستيلاء على جسد ضحيته فهو يحاول أن يفرض على الضحية الاتجاه إلى هذا الإدمان نفسه .

وبتأثير هذا الإدمان قد يتمكن الروح المستحوذ من أن يباشر قدراً أكبر من الهيمنة على حياة الضحية . فهو يسمح للأرواح المستحوذة — وهى فى المعتاد أرواح متعددة — أن تتغلغل إلى محتويات القلوب . وهى فى وضعها الراهن لا تكون مطالبة بدفع ثمن الإدمان الباهظ من ناحية فصم العلاقات مع الآخرين (كما يحدث للمدمنين الأرضيين) ، ومن ناحية تدمير الصحة ، وفقد العمل ، وفقدان احترام الناس وتقديرهم .

وهالة الضحية[1] تصبح ضعيفة جداً من الإدمان المتواصل للمخدرات ، مما يتيح استحواذاً أيسر من ذى قبل من جانب أرواح أخرى تبحث عن دمية ، أو عن هدف سهل ، أو عن مخبأ للجلوس فيه ، بحسب الأوصاف التى استخدمتها نفس الأرواح المستحوذة :

ولما كانت الشخصية الأصلية للضحية تتراجع بسبب تعود الروح المستحوذة على الإدمان ، فإن علاج الإدمان يصبح عسيراً جداً . وذلك لأن الروح المستحوذة تكون غير مبالة لتلقى أية مساعدة ، وهى سادرة فى جهلها بحالتها ، فهى لا تريد أن تتنازل عن هذا الشىء الجميل (وهو الاستحواذ بما يرتبط به من إدمان) .

ولحسن الحظ لقد « تمكنت » فى حالات استثنائية من مساعدة بعض الضحايا

---

(١) الهالة الإنسانية عبارة عن مجال كهربى مغناطيسى يحيط بالجسد الأثيرى للانسان ويتخلله . وهو بيضاوى الشكل وذو سرعة تردد عالية وله وثيق صلة بالصحة العضوية والعصبية . وقد أمكن تصويره بالألوان على ما سوف يرد فيما بعد .

وتحريرهم من عبوديتهم (للروح المستحوذة) فى جلسة واحدة أو اثنتين ، مع أن هذا التحرر يحتاج عادة إلى صراع طويل قد يدفع المريض إلى اليأس وإلى الهرب من العلاج . وقد يكون الموت بسبب تناول الروح جرعة زائدة من المخدر أو بسبب الموت فى حادثة سيارة . . . [١]

عن إدمان التدخين

يبدو أن إدمان النيكوتين لا يسبب ضعفاً فى الهالة ، ولا تدهوراً فى الوعى مثلما يسبب إدمان المخدر . فالنتائج هنا أقل تدميراً من الناحيتين العقلية والانفعالية ، لكنها تضر الصحة العضوية . ولقد عالجت أشخاصاً كانوا يشكون من أضرار التدخين ومنها سرطان اللسان ، وكان لديهم كل سبب لكى يوقفوا التدخين .

لكنهم لم يتمكنوا لأن الأرواح المستحوذة لا تعنيها فى شىء صحة الضحايا ، وتشعر أن بمقدورها استبدال الضحية عند وفاتها بضحية أخرى . ولذا فقد كان الإنقاذ هنا رائعاً لضحية الاستحواذ متى تم بنجاح فك هذا الاستحواذ ، فقد توقفت عندهم فوراً الرغبة فى التدخين ، كما ارتاحوا من أعراضه السيئة الأخرى[٢] .

عن المتاعب الجنسية

بما أن كثيراً من الأرواح يرحل فى سن متقدمة ، فإن الأشخاص الذين تستحوذ عليهم قد يعانون من الإحساس ببعض أعراض الشيخوخة ، بما فيها تراجع الدافع الجنسى . ويتضح ذلك عندما تحاول ضحية الاستحواذ ممارسة الجنس ، إذ قد تظهر عليها نفس الأعراض التى كان يعانى منها الكائن المستحوذ . والصورة المتطرفة لذلك هى عجز الضحية عن الاقتراب الجنسى من الزوج أو من الزوجة .

ومن بين أسباب الجنسية المثلية حدوث الاستحواذ من كائن ينتمى إلى الجنس

---

(١) عن المرجع السابق ص ٤٠ — ٤١ .

(٢) عن نفس المرجع ص ٤١ .

المقابل . وإذا بدأ الاستحواذ قبل المراهقة بدأ معه نفور الضحية من الجنس المقابل لكى ينمو عندها الاعتقاد بأنه تلزمها الممارسة مع نفس الجنس . وذلك عندما تكون الكائنات المستحوذة هى التى تسيطر على اختيار جنس الطرف الآخر فى هذه الممارسة .

وفى كل حالة من حالات الجنسية المثلية التى « نجحت » فى فك الاستحواذ فيها ، كان يوجد بالأقل كائن مستحوذ واحد من الجنس المقابل ، وكان هو صاحب السيطرة فى تفضيل جنس على آخر . وكثيراً ما وصف لى الضحايا كيف كانوا يشعرون بأنهم مسوقين سوقاً نحو الاختيار المتجه إلى الجنس الخاطىء .

ومن أولئك القوم من كانوا أيضاً مسوقين — رغم إرادتهم — إلى ممارسة الجنس مع الكائن الغيبى Transsexual operations لأن الروح المستحوذ كان يحاول يائساً أن يجعل جسد الضحية مماثلا على قدر طاقته لجسده العضوى الميت .

ولقد « عالجت » عدة حالات من هذا القبيل Transvesties ، وكلها كانت تجرى مع أرواح مستحوذة تنتمى إلى الجنس الآخر . وكان ضحايا الاستحواذ فى هذه الحالات يشترون ملابس الجنس الآخر ويرتدونها حتى يرضون مزاج الروح المستحوذ رغم اضطراب الضحية ورفضها لذلك[1] .

عرض خمس حالات للايضاح

والفصل السادس من فصول هذا الكتاب خصصته المؤلفة إديث فيور لإعطاء نظرة عامة عن مدى تأثير الاستحواذ فى إفساد حياة الضحايا ، وكيف أن هذه التأثيرات قد تكون بمثابة كوارث ، وأحياناً قد تقضى على حياتهم .

وبعد ذلك تخصص الفصول الخمسة اللاحقة لإعطاء القارىء نظرة أكثر عمقاً إلى خمس حالات معينة تشرح فيها ليست فحسب الآثار المدمرة للاستحواذ ، بل أيضاً كيف بدأ الاستحواذ أصلا . ثم كيف جرى أسلوب العلاج بفك الاستحواذ ، وكيف

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣ — ٤٤ .

أفاد هذا الأسلوب الضحايا بمقدار ما أفاد الأرواح المستحوذة . وتقول إنها تغيرت هذه الحالات الخمس من بين المئات من الحالات المماثلة التى تلزم للتعرف على مدى الضيق الذى ينجم عن الاستحواذ عند أشخاص كانوا هم أنفسهم غير راضين عنه ، وغير متوقعين حدوثه .

المطلب الثالث

ماذا عن المواجهة والعلاج

بحسب إديث فيور ؟

تمهيد

بعد أن تستعرض المؤلفة بدقة تامة ، وفى صبر وأناة ، النماذج الخمسة التى اختارتها . وهى مليئة بتفصيلات يضيق عنها المقام الحالى . لكن لا ينبغى أن يضيق عن ملاحظة يجب تسجيلها عن أهم نقطة فى هذه التفصيلات : وهى أنها تمكنت عن طريق إرجاع الذاكرة إلى الوراء فى غيبوبة التنويم المغناطيسى من التوصل إلى معلومات كثيرة عن العديد مما يتصل بحياة الروح المستحوذة من بيانات خاصة بالاسم ، وبالموطن ، وبظروف الحياة ، وظروف الرحيل ، ومكانه ، وميول ومتاعب وطباع هذه الروح . وغير ذلك من بيانات متعددة لا تدع أى مجال للشك فى أن الحالة هى فعلا حالة استحواذ روحى ، وأنه لا يصح أبداً الخلط بينها وبين أية حالة أخرى من الأمراض العضوية أو العصبية المألوفة فى التحليل النفسى ، فى تشخيص الأمراض العضوية المتنوعة .

عن اقتحام الروح هالة ضحيتها

وبعدئذ تنتقل المؤلفة إلى الفصل الثانى عشر ، وفيه تعالج موضوع « دخول الروح » من ناحية محاولة تعليل اقتحام الروح المستحوذة هالة ضحيتها ، وصلة هذا الاقتحام بالهالة الإنسانية وأبعادها من النواحى الانفعالية — العقلية — الروحية . وكيف

أن هذه الهالة هي بمثابة النظام الواقى للجسد العضوى . وكما أن ضعف الجهاز العضوى يقلل مناعته ويدع صاحبه عرضة للأمراض العضوية وللعدوى ، فكذلك أيضاً ضعف الهالة الإنسانية فقد يخلق مناخاً ملائماً لاقتحام الأرواح .

وفى هذا الشأن تقول « لقد عثرت على فئتين أساسيتين من الظروف ومن أوجه السلوك المتصلة بالاستحواذ : ففى الأولى قام الأشخاص أنفسهم بدعوة الأرواح إلى اقتحامهم ، وفى الفئة الثانية كان الأشخاص غير متنبهين إلى الاستحواذ ، بل كانوا رافضين تماماً حدوثه وهم فى مستوى الوعى » .

وبعد أن تقدم عدة نماذج سريعة من هذه الفئة الثانية تنتقل إلى الحديث عن الاستحواذ الإرادى ، أى عن تلك الهيمنة الروحية التى قد تقع بناء على رغبة أولئك الوسطاء الذين قدموا — فى تقديرها — خدمات جليلة للملايين من بنى البشر من ناحية أنهم فتحوا أذهانهم على الممالك غير المنظورة . والذين أسهموا إلى حد كبير فى تطور بنى البشر فى العالم أجمع .

وذلك حتى لقد أصبح بنو البشر متلهفين الآن لاختبار ظواهر الروح بأنفسهم ، وللإلمام بظروف الحياة اللاحقة للموت ، وظروف قاطنيها ، ولمحاولة تلقى رسائل من الأرواح . ومن صدى هذه اللهفة المتزايدة انتشرت « لوحة الحروف الهجائية »[1] ، حتى أصبحت موضع عناية شعبية .

كما انتشرت أيضاً وسيلة الكتابة التلقائية وغيرها من الوسائل التى تعرضها المؤلفة عرضاً سريعاً وتنبه إلى ضرورة إجرائها بأساليب علمية ، وبعد الإلمام الكافى بقواعدها حتى لا تحدث منها أية متاعب ، وحتى لا تكون سبباً فى فتح ثغرة للاستحواذ قد تسبب ضيقاً لهم وربما لأفراد أسرهم . وتقول إن درأ هذه المتاعب يكون عن طريق تدريب الوسطاء تدريباً مكثفاً قد يحتاج إلى عدة سنوات .

---

(١) وهى من الوسائل الشائعة للاتصال بالأرواح متى توافر قدر كاف من الطاقة الفيزيقية عند بعض الجلساء ، ومتى توافر أيضاً قدر مناسب من حراسة الجلسة ، ومن الإرشاد المطلع العاقل . وهذا كله مرتبط بمدى التنظيم ، والمثابرة ، والجدية ، والمستوى الثقافى والخلقى عند كل الجلساء أو بعضهم .

وهى تأخذ على بلادها قلة عدد مراكز تدريب الوسطاء ، بالمقارنة بما يجرى فى البرازيل وفى انجلترا بناء على ما لمسته بنفسها بعد سياحاتها فى هذه البلاد وحوارها مع الوسطاء المدربين تدريباً جيداً هناك .

عن استكشاف الاستحواذ

وفى الفصل الثالث عشر تعرض المؤلفة أكثر أعراض الاستحواذ شيوعاً من الناحيتين العضوية والعصبية ، التى يمكن عن طريق مراقبتها استكشاف الاستحواذ . وهى — بعد التلخيص — تكون على النحو الآتى : —

أولا : أن كل إنسان يكون ضحية استحواذ ينبغى أن يشعر بهبوط واضح فى مستوى طاقته . وأنسب وقت لاختيار مدى قوة هذه الطاقة يكون فى الصباح . ومع مراعاة أن ثمة أسباباً عديدة أخرى تدعو لهبوط الطاقة مثل نوعية النوم أو عدم كفايته ومثل جهود الليلة الماضية ، ومثل صور الحساسية المختلفة ، ومثل الصراعات المختلفة والتوتر العصبى . فإذا لم توجد أسباب منطقية للإجهاد ، فقد تكون علة الإجهاد كامنة فى الاستحواذ كفرض محتمل .

ثانياً : أن من أوضح خصائص الاستحواذ تغير الشخصية الذى يحدث أحياناً بسرعة . ومن صوره استخدام لغة فى التفاهم تغاير طبع الشخص ، وكذلك التصرف على نحو مغاير له . . . ومما له صلة بهذا التغير أنه قد يحدث أحياناً بعد إجراء جراحة ، أو بعد إقامة فى المستشفى ، أو فى أثناء هذه الإقامة .

ثالثاً : أن كثيرين منا يكلمون أنفسهم ، إما بالفم وإما بالعقل . وهذا الكلام قد يكون مريحاً أو مسلياً ، وقد نتعود عليه بحيث لا نعود نتنبه إليه . ولكن عندما يجرى الحوار بين الإنسان وبين كائن غيبى فإن بمقدوره أن يكشف النقاب عن الكثير من شخصية الكائن المستحوذ وصلته بالضحية ، خصوصاً عند صدور تعليمات وأوامر ونواهٍ جازمة من هذا الكائن المستحوذ .

رابعاً : إذا وجدت نفسك مندفعاً لإساءة تعاطى المخدرات أو الخمور فقد

تكون خاضعاً لاستحواذ ما . وقد يكون الاستحواذ سبباً فى الاستمرار فى هذا التعاطى .

خامساً : إذا كنت تجد نفسك مندفعاً إلى الإتيان بأمور بدون تفكير فيها ، فقد يكون ذلك بسبب الاستحواذ .

سادساً : أنه إذا كان الاستحواذ من شخصين أو أكثر فقد تنسى أموراً هامة ، وقد يحدث الاستحواذ ثغرة فى الوعى . وقد يكون النسيان هاماً جداً ، وقد ينصب على محو مواعيد رئيسية أو أيام هامة من الذاكرة . فمثلا قد تدخل إلى حجرة ثم لا تتذكر لماذا دخلت إليها ، وهذا النسيان يحدث كثيراً لنا ، لكن عندما يصل إلى حد المحو التام للساعات ، وللأيام ، ولأوجه النشاط الحديثة فقد يكون ذلك من الأعراض الكاشفة عن الاستحواذ .

سابعاً : أن مشكلات القدرة على التركيز الذهنى قد تنتمى إلى فقدان الذاكرة . ومن صورها عدم القدرة على استيعاب ما قد تقرأه أو ما قد تسمعه . وتشعر كما لو كان هناك ضباب يخيم على ذهنك من آن إلى آخر . وعند ئذ فربما يكون المسئول عن ذلك كائن مخمور أو مخدر بداخلك ، أو ربما روح إنسان مسن .

ثامناً : أنك إذا شعرت بالقلق أو بالاكتئاب بلا سبب مقبول ، فقد يكون شعورك هذا صدى لمشاعر مماثلة تشعر بها الأرواح وتبرزها عن طريقك .

تاسعاً : أنك إذا كنت مقيماً فى مستشفى فقد تكون ضحية استحواذ أرواح ماتت مريضة ، أو مخدرة ، أو متألمة ، أو بسبب حوادث ، أو أزمات قلبيـــة . فإذا ما شعرت فى المستشفى بآلام أو بأعراض جديدة منذ دخولك إليه ، وهى أعراض لا تنتمى إلى ظروفك الخاصة ، فينبغى عليك أن تحكّم عقلك وألا تقفز إلى تقرير النتائج .

عاشراً : أن ردود فعلك من قراءة هذا الكتاب قد تساعد كثيراً فى التشخيص . ذلك أنك إذا كنت تشعر أنه من الصعب عليك أن تقرأه ، أو أنه ليس بمقدورك أن تتم قراءة بعض الحالات أو بعض الفصول — بسبب إحساسك بالقلق أو بأى رد فعل انفعالى آخر — فإن من المحتمل أن يكون هذا الشعور صدى لمشاعر أرواح مستحوذة .

ويكون ذلك بوجه خاص إذا حدث لك خفقان فى القلب ، أو إذا تصببت عرقاً ، أو إذا عانيت من صعوبة فى التنفس ، أو رعشة فى الأطراف ، أو وخزاً فيها . فإن كل هذه الأعراض قد تشير إلى القلق ، فإذا لم يكن لها مصدر من خوف أو من ضيق فعندئذ عليك أن تتنبه إلى نفسك .

العبرة بالصورة الإجمالية للمتاعب

فإذا حدث لك عرض واحد أو اثنان من هذه الأعراض فإن ذلك لا يعنى بالضرورة حدوث الاستحواذ ، لأن كل هذه الأعراض قد يكون لها مصادر أخرى . لكن المهم هو الصورة الإجمالية للحالة . فهذه الصورة الإجمالية هى التى يمكنها أن تساعدك على المزيد من قدرة التشخيص .

وهذه القدرة هى التى يمكنها فى النهاية أن تقود إلى اليقظة فى تشخيص الاستحواذ وهى التى يمكنها أن تقودك إلى أن تبدأ فى أن تصنع شيئاً لمعاونتك على الخلاص منها ، وعلى خلاص الكائن المستحوذ أيضاً .

ثم تقترح المؤلفة إعطاء درجات تتراوح من صفر إلى درجتين لكل عَرَض من هذه الأعراض حسب الإجابة وهل هى بالسلب ، أم بالقول « بأن هذا العَرَض يجىء أحياناً ، أو بسيطاً » ، أم أنه يحدث دائماً وواضحاً . فإذا بلغ مجموع الدرجات عشرة فإن الصورة الإجمالية ترشح لوجود الاستحواذ . أما إذا كان المجموع أقل من ذلك ، فعليك أن تستخدم حكمك الخاص ، بدون أن يعنى ذلك حتماً انتفاء الاستحواذ (أو المس) .

* * *

ولا يعنى الاستحواذ صدور حكم بالإعدام ، أو بوجود مرض مميت ، بل مجرد ظرف يمكن علاجه . وإذا لم يكن بمقدورك أن تعتمد على نفسك فى حل المشكلة ، فإنك ستكون مع ذلك أفضل حالا مما كنت من قبل ، لأنك بالأقل سوف تفهم مصدر متاعبك ، وبمقدورك أن تتلقى معونة المختصين لفك هذا الاستحواذ الذى

قد يحدث بفضل موقفك الخاص إزاءه Self depossession أو من موقف الأخصائيين فى هذا المجال[١] ، وهذا هو ما تتناوله المؤلفة ببعض البيانات والإرشادات فى الفصول اللاحقة .

وفى الفصل الرابع عشر تعالج أسلوب فك الاستحواذ عن طريق التنويم Hypnotism المغناطيسى المألوف مضافاً إليه إرجاع الذاكرة إلى الوراء مع تقديم إرشادات عامة متنوعة يلزم أن يطلع عليها القائمون بهذا التنويم العلاجى . وهم — للأسف العظيم — نادرون جداً فى بلادنا ، بل فى الشرق الأوسط كله . لأننا ما نزال حتى الآن نعيش فى عزلة تامة عن هذه السبل المتطورة التى نتجاهلها بلا مبرر لكى نجنى جناية بالغة على الضحايا التعساء ، وما أكثر ما يعانون من آلام فادحة مع أسرهم .

وفى الفصل الخامس عشر تعالج موضوع كيفية حماية أنفسنا من الكائنات الغيبية لمنع وقوع الاستحواذ أصلا عن طريق حماية الهالة مما قد يؤدى إلى تدهورها . بل يؤدى على العكس من ذلك إلى تقويتها حتى تؤدى دورها الأصيل فى منحنا القدر المطلوب من المناعة . وهى فى هذا الشأن تركز على دور العقل ، والتخيل الخالق ، والصلاة المخلصة طبقاً لشعائر أى دين من الأديان لأن بنى البشر كلهم سواء أمام قدرة الله تعالى ورحمته .

موضع الاستحواذ أو المس من السيكولوجيا الشاذة

فى الفصل السابع عشر تلاحظ هذه الخبيرة — فى التحليل النفسى وفى التنويم المغناطيسى — أن مفهوم الاستحواذ أو المس ينبغى إدراجه نهائياً بين الموضوعات الشاملة الشائعة فى السيكولوجيا الشاذة ، ، والتحليل النفسى ، وغيرها من الموضوعات التى هى محل اهتمام الكليات والجامعات ومدارس الطب . وأنه يلزم القيام ببحوث لتوسيع نطاق فهمنا للدور الذى تلعبه الأرواح فى الحياة البشرية . كما يلزم جعل التوعية

---

(١) نفس المرجع ص ١١٩ — ١٢٣ .
(٢) نفس المرجع ص ١٢٤ — ١٤١ .

بشأن الاستحواذ علنية حتى يحمى الناس أنفسهم منه بصورة أفضل مما يجرى الآن ، وحتى يتفهمون ما قد يحدث لهم فيجدون العون العلاجى .

وفك الاستحواذ ينمو الآن كسلاح علاجى ولقد « دربت » أكثر من مائة طبيب من أخصائى الأمراض العقلية والعضوية على هذا الأسلوب فى الولايات المتحدة ، وأكثر من ستين طبيباً فى البرازيل : وأولئك الذين دربتهم يقومون الآن بتدريب غيرهم . . .

والعلاج بفك الاستحواذ آخذ فى الانتشار ، لأنه فعال ومجد للغاية ، أياً كان الوصف الذى يطلقونه عليه . ولحسن الحظ أنه لا يلزم أبداً اقتناع المعالج ولا المريض بوجود الأرواح ، ولا بالاستحواذ حتى يثمر العلاج ثمرته . وبمقدور بعض المعالجين استخدام هذا الأسلوب عن طريق التخاطر بدون حضور الشخص المريض ، وحتى بدون أن يعلم[1] . . .

وإننى أحصل على نتائج إيجابية لهذا الأسلوب فى صورة تحول للأحسن فى حالة المرض ، ولم أصادف أية نتائج سلبية (أى تحول للأسوأ) . وفك الاستحواذ بمقدوره أن يفيد المرضى متى تم الوصول إلى السبب الكامن وراء الحالة ، وهو الاستحواذ الروحى مع إماطة اللثام عنه ، فإن ذلك بذاته يضايق الروح الماسة ويقلقها ، وهذا هو ما يكشف عن وجودها ، وعن تأثيرها الوقتى فى ضحيتها .

وعندما كان العلاج يستمر طويلا ، وكانت الأرواح الماسة لا تغادر ضحيتها بعد عدة جلسات ، فإننى أتبين فى المعتاد أن الروح الماسة والضحية كانا مجتمعين معاً فى حيوات سابقة . ولعل بواعث الاستحواذ يمكن العثور عليها من الأحداث التى مرت بهما معاً فى العصور السابقة ، عندما كانا مرتبطين معاً (بروابط كارمية عريقة بسبب الأسرة ، أو العمل ، أو الزواج . .)[2] .

---

(١) الإشارة هنا إلى العلاج الروحى الغيابى ، وإلى جدواه فى بعض الأحايين .

(٢) وهذه الذكريات العتيقة عن الحيوات السابقة يمكن التوصل إليها أحياناً عن طريق إرجاع =

وهذه البواعث قد تكشف عن رغبة عارمة فى الانتقام من جانب أحدهما أو من جانب كليهما . . . كما قد توجد من جهة أخرى ثمة رابطة حب وثيقة ، مع الإحساس بالاعتماد الكلى من أحدهما على الآخر أو بدون هذا الإحساس .

وكمثال لذلك فإن الروح الماسة يجوز أنها كانت أماً للشخص الممسوس فى تجسد سابق ، وكانت مستحوذة عليه أو عليها فى الطفولة . وفى غالبية الحالات لا يكون لدى أيهما أية ذكريات واعية عن تلك الحيوات السابقة التى تقاسماها معاً ، أو عن تلك الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الاستحواذ .

موضع الاستحواذ من « الوجود السبقى »

وأجد فى كل حالة أتحرى فيها عن حقيقة سببها أن الشخص الممسوس كان يدوره ماساً شخصاً آخراً فى حياة سابقة مبكرة عن إرادة أو عن غير إرادة !

وهذا الموضوع ينتقل بنا إلى موضوع الكارما Karma (أى إرتباط أحداث الحيوات المتعاقبة فيما بينها برباط العلة بالمعلول [1]) . فهل كل شخص يحدث له مس يسدد عن نفسه ديناً كارمياً ؟ وهل الاثنان معاً — الروح الماس والشخص الممسوس — تجمعهما حتماً صلات كارمية ؟ فإذا لم يكن الأمر كذلك ، فهل الحيوات الماضية لها دائماً دورها فى الاستحواذ ؟

يبدو بعض الأشخاص وقد تمسكوا بأن يظلوا ممسوسين حتى عندما يكون تشخيص الحالة واضحاً رغم كل محاولات فك الاستحواذ ، ورغم استكشاف روابط الحياة الماضية ودوافعها للاستحواذ ، ورغم معاونة المعالجين الغيابيين الذين تخصصوا فى

= الذاكرة إلى الوراء فى غيبوبة التنويم المغناطيسى الفنى . وتقول المؤلفة إنها خلال عملها فى هذا الحقل نجحت آلافاً من المرات فى إرجاع ذاكرة المنومين إلى تجسدات سابقة Past life Regressions (صفحة ١٦٠) .

هذا وقد أصدرت هيئة من أرفع الهيئات العلمية فى العالم وهى « لجنة الخبراء الدوليين » قراراً تاريخياً فى اجتماعها فى أنيويورك سنة ١٩٧٩ بأن العودة للتجسد تعتبر حقيقة ثابتة علمياً الآن .

(١) راجع فى موضوع « الكارما » مؤلفنا فى « العودة للتجسد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم » طبعة ٣ سنة ١٩٨٧ ص ٦٨٣ — ٧٣٧ .

فك الاستحواذ حتى مع بعد المسافة بينهم وبين المرضى . ودائماً أشعر أنه ينبغى القيام بمجهود إضافى لتحرير أولئك الأشخاص ، لأنه من العسير علىّ أن أتخلى عن معونتهم .

ومشكلة حرية الاختيار ينبغى أن توضع فى الاعتبار هنا . فبحسب الظاهر يبدو أننا كما لو كنا مجرد دمى (جمع دمية) تتحرك ضد إرادتنا بمشيئة الأرواح أو بمشيئة القدر . فهل نحن وافقنا على أن نمر بهذا الاختبار عندما خططنا لحيواتنا المقبلة فى تلك الفترة التى مرت بين وفاتنا الأخيرة وبين ولادتنا هذه ؟ وهل نحن نتلاقى فى الواقع مع أنفسنا ؟ وهل نحن فى كل حالة نكون قد استحوذنا على شخص آخر من قبل ؟ .

وثمة أسئلة عديدة من نوع هذه الأسئلة التى أثرتها فى هذا الفصل لا تمكن الإجابة عليها بسبب فهمنا ومعلوماتنا المحدودة عن الأرواح ، وعن الاستحواذ ، وعن العودة للتجسد ، وعن النواميس الكونية .

لقد شاركتك وجهات نظرى ، وقدمت إليك منهجاً علمياً ناجحاً ، لكننى أشعر بأن تفهّم البعد الروحى السليم للحياة قد يساند حريتنا فى أن نحيا حياتنا إلى أقصى أبعادها . وإن أعمق أمنية أحملها لك وللأعزاء من معارفك هى التحرير من الاستحواذ - وحتى لو كانت عندك أمنية أخرى ، أو حتى لو كنت قد وضعت فى الاعتبار طريقاً مغايراً للنظر إلى آلام البشرية ، فإن كتابى يكون قد حقق هدفه[1] .

وبعد هذه الخاتمة تضع المؤلفة قائمة بأكثر من مائة مرجع تعتمد كلها على أبحاث معملية وضعية ليس فيها أى مجال للارتجال أو للخيال ... فهل يتأتى دحض هذه الأبحاث الهادفة بأسلوب الارتجال الضار ؟ ! ... وبالذات فى هذا المقام الذى يحقق فيه المنهج الوضعى كل يوم إنجازات بالغة الأهمية فى تخفيف آلام الإنسانية جمعاء ؟!

---

(١) تلخيص عن فيور . المرجع السابق صفحة ١٥٣ — ١٥٧ .

المبحث الثالث

عن مستشفى أوبيرابا بالبرازيل

ظواهر المس والاستحواذ هذه تختلف عن الظواهر المرضية الأخرى فى أنها تعطى أعراضاً كان يقف علم النفس القديم عاجزاً إزاءها مثل الهستيريا ، والصرع ، وازدواج الشخصية ، والقلق ، والاكتئاب وغيرها .

وهذه الظواهر المرضية خضعت الآن لدراسات موسعة متواصلة قلبت رأساً على عقب كل التشخيصات القديمة المرتبطة بالمغالاة فى دور عامل الكبت الجنسى ، والمركبات النفسية . وأصبحت تعالج بأساليب روحية مستقلة عن أساليب الماضى . وثبت بالتجربة أنها أجدى منها فى العلاج . وهى لا تمت بأية صلة إلى استخدام التحليل النفسى فى أسلوبه القديم ، أو إلى استخدام الصدمات الكهربائية ، أو المسكنات الوقتية بكافة أنواعها ...

وغنى عن البيان أن هذه الدراسات الحديثة وثيقة صلة بعلم النفس المرضى والجنائى . وينبغى تمييز هذه الظواهر عن الأمراض العقلية والعصبية التى قد تلتبس بها ، والتى قد تلعب الوراثة فيها دوراً ما . وسواء أكانت هذه الظواهر ترجع إلى هذا العامل أم إلى ذاك ، فهى فى النهاية وثيقة صلة بالتكوين الروحى والعضوى للإنسان العادى ، ناهيك بالإنسان الذى قد يسلك سلوكاً مضاداً للمجتمع .

وكلها تشترك معاً فى التنقيب فى أغوار الفطرة الروحية للإنسان والتى تمثل الجانب الأقوى فى تكوين هذه الفطرة ، وذلك لأن الإنسان بحسب فطرته روح خالدة قبل أن يكون مجرد جسد معرّض للفناء السريع .

وتوجد الآن مستشفيات متخصصة لعلاج حالات المس والاستحواذ بالأساليب الروحية . منها مستشفى ضخم يقع فى ضاحية بورتو أليجر Porto Alegre بمدينة

أوبيرابا Auberaba بالبرازيل به أكثر من ستمائة غرفة[1] .

نبذة عن هذا المستشفى

ويعمل بهذا المستشفى عدد يتراوح بين مائتين وثلاثمائة من الموظفين ، وقد اعترفت حكومة البرازيل بأنه « مؤسسة ذات نفع عام » Institute of Public Utility وتبلغ نسبة من يعالجون فيه مجاناً حوالى ٣٠٪ من مجموع المرضى .

ويجرى العلاج الروحى فيه جنباً إلى جنب مع الأساليب الطبية المألوفة . وتسمح إدارة المستشفى للمحللين النفسيين ولطلبة كليات الطب بارتياده وبالإقامة فيه لمراقبة النتائج ، ولدراسة الأساليب المتبعة . ويتردد عليه فى نفس الوقت أكثر من ستين وسيطاً روحياً متطوعاً ، يقدمون خدماتهم للمرضى بلا مقابل .

وهو على صلة بحوالى أربعين مستشفى صغير موزعة فى أرجاء البرازيل ، وتتبع نفس هذه الأساليب الروحية .

وقد شيدوا هذا المستشفى أولا على صورة مصغرة فى سنة ١٩٢٥ ، ثم نقلوا مقره إلى موقع آخر جميل مع توسيع المبانى فى سنة ١٩٤١ ، حيث أصبح — مع حدائقه الفسيحة الغناء — يشغل الآن حوالى عشرين فداناً من الأرض . وهذه الحدائق تضم أيضاً العديد من الملاعب الرياضية الموضوعة تحت تصرف المرضى .

ويقول الدكتور إرنستو ديستل Ernesto Diestel أحد نواب رئيس هذا المستشفى فى خطاب له « إننا فى هذه السنين الأخيرة تعلمنا أن معظم حالات الأمراض العصبية والروحية سببها مس الأرواح السيئة .

ولذا فإننا ننشىء دوائر علاجية يمكنها — عن طريق مساعدة وسيط قوى — أن تصبح على صلة بهذه الأرواح ذات العقول الشريرة ، وأن تحاول إقناعها بالحسنى

---

(١) نسبة النجاح فى العلاج تصل أحياناً إلى ثمانين فى المائة . للمزيد عنه راجع :

Jsa Gray : From Materialisation to Healing .Regeney Press (London & New York 1972)

أن تدع ضحاياها وشأنهم ، وخلال هذا الأسلوب يمكن أن يشفى المرضى ، أو بالأقل أن تتحسن أحوالهم . . .

* * *

وعن طريق هذه الأساليب يتضح أن الأرواح الماسة لا يمكن أن تكون سعيدة طالما كانت تنطوى نفوسها على مشاعر من الثأر ومن الحقد . وهذا الأسلوب — الذى نطلق عليه باللغة البرتغالية وصف « فك المس » Desobsesso — يتطلب طبعاً أن نتلقى العون من شركائنا فى العمل الذين يقيمون على الجانب الآخر من الحياة .

وهؤلاء يحضرون إلينا الأرواح الماسة ويلهمون رئيس الدائرة أن يعثر على العبارات المناسبة لإقناع الأرواح الماسة التى تعذب ضحاياها بأن تغادرها .

وكثيراً ما يكون بمقدورنا أن نجعل تلك الأرواح وضحاياها تطلع على بعض حلقات من حيواتها المبكرة، حتى نوضح لهم أنه لا يوجد إنسان خالٍ من الآثام تماماً ، وأنهم بالمس (أو بالاستحواذ) يؤذون أنفسهم[1] .

ومع بعض الصبر بمقدورنا أن نوقع صلحاً به يشفى مريض الأرض ، ويحصل الروح الماس على قدر من الطاقة يمكنه من أن يغادر الأرض متجهاً إلى جو أسمى منها . ولذيوع الاعتقاد فى صحة « الوجود السبقى » فإنه يوجد إيمان عام قوى بأن ثمة أشخاصاً عديدين يدفعون فى هذه الحياة ثمن أخطائهم فى حياة أو فى حيوات سابقة » . .

ويضيف ديستل قائلا إن الباراسيكولوجى يحاول أن يشرح الظواهر الروحية بأسلوب علمى . .[2] . وهكذا تتزايد يوماً بعد يوم مراكز العلاج الروحى فى كل مجال وفى كل مكان فى العالم ، وتجىء النتائج مبرِّرة تماماً لانتشارها وازدهارها .

---

(١) وذلك لأن بعض حالات المس — لا كلها — ينجم عن خوف الروح الحديثة الا تنتقال من عذاب الأبدية بحسب فهمها الخاص . فتأبى أن تترك نفسها على سجيتها وبالتالى حتى لا تنطلق إلى أجواء الأثير التى تتناسب مع مستواها العقلى — الروحى ، وقد تكون أفضل بكثير لها من متاعب الالتصاق بهالة أحد الأشخاص من الأقارب أو الأغراب .

(٢) عن إيزا جراى Jsa Gray (طبعة ١٩٧٢) . المرجع السابق ص ١١٥ — ١٢٠ .

وأمامى تقرير لمدير هذا المستشفى الروحى وهو الدكتور إناسيو فريرا Ignacio Ferreira يقول فيه « كنت فى الماضى أسخر من هؤلاء الوسطاء ، إذ كيف يعالجون حالات ليس بمقدورنا أن نعالجها نحن الأطباء ؟ والآن بعد دراسة متعمقة لهذا الموضوع أنحنى أمام أولئك المعالجين غير المثقفين . إذا أننى قد اقتنعت أن بمقدورهم أن يعالجوا ٨٠٪ من حالات الأمراض العقلية التى فشل فى فهمها الطب العادى ، والتى يأبى أن يدرسها » . . .

فانظر وتأمل وقارن هذه النسبة بمعدلات الشفاء الهزيلة من الأمراض العصبية التى تعالج بالأساليب التقليدية البالية ، والتى كثيراً ما تنطوى على متاعب بالغة ونفقات باهظة ، وربما تؤدى إلى تعويد المريض على إدمان المخدرات والمسكنات ! !

وتوجد فى البرازيل العشرات من المستشفيات والملاجىء والمدارس ، والميادين ، والشوارع . . التى تحمل اسم آلان كارك Allan Kardec الفيلسوف الروحى الفرنسى ، الذى ما يزال معتبراً حتى الآن أبرز اسم فى الحركة الروحية اللاتينية ، وأقواها تأثيراً .

كما يوجد هناك الآن عدة معاهد روحية متطورة ، منها معهد أنشىء فى ساو باولو Sao Paolo فى سنة ١٩٦٣ متخصص فى هذه الموضوعات يطلق عليه « المعهد البرازيلى للبحوث الروحية — الطبيعية — البيولوجية » I. B. P. P. أنشأته هيئة يرأسها باحثة روحى يعمل مهندس الكترونات يدعى هرنانى أندريد .

فمتى نتحرك نحن ؟ ومتى نسهم بدور إيجابى محسوس فى هذا النشاط العلمى الحافل الذى يجرى فى العالم أجمع ؟ والذى تكشف عن أخطر النتائج ، وأجدرها بالبحث والمتابعة من النواحى — النظرية والعملية — المفرطة فى أبعادها ، وفيما تقدمه من خدمات تتجاوز نطاق معلوماتنا الراهنة ، على ما سوف يتضح للقارىء تباعاً فى باقى أبواب هذا البحث .

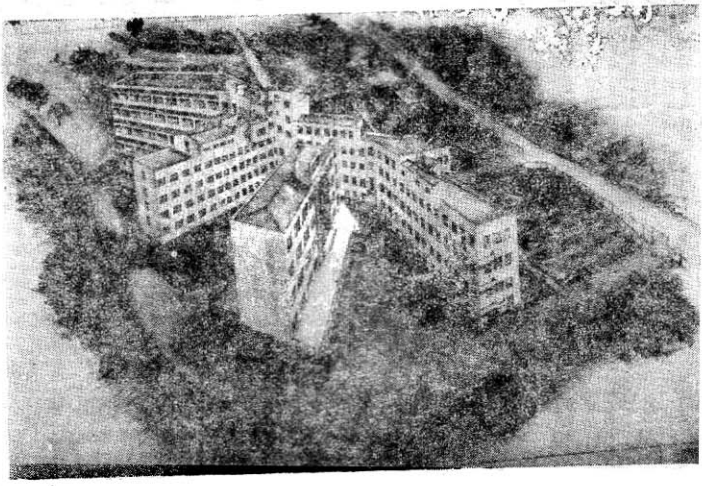

ARCHITECT'S PLAN OF THE HOSPITAL ESPIRITA, PORTO ALEGRE.

منظر خارجى للمستشفى الروحى الكائن بضاحية « بورتو أليجر »
بمدينة أوبيرابا بالبرازيل

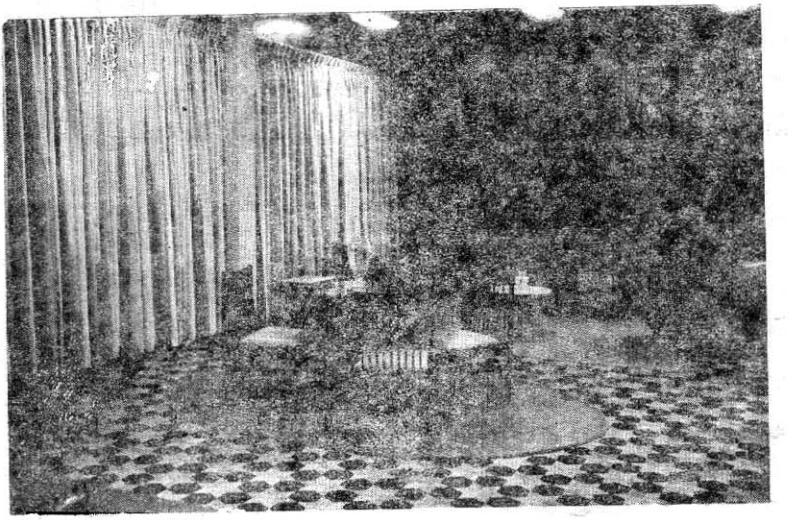

RECEPTION ROOM AT THE HOSPITAL ESPIRITA

إحدى قاعات الاستقبال بهذا المستشفى

جناح من أجنحة عديدة بهذا المستشفى

صورة آلان كاردك Allan Kardek فيلسوف الحركة الروحية اللاتينية على خامس طابع بريد تذكارى تصـــدره حكومة البرازيل تخليدا لذكراه .

SIR HENRY MORGAN.

LILY.

الكاميرا تنجح فى التقاط بعض صور الأرواح المعالجة

ـ من أعلى سير هنرى مورجان H. Morgan .

ـ من أسفل روح مجهولة الهوية يحمل اسم ليلى Lilly .

مناقشة النتائج فى مؤتمر دولى

هذا ولقد جرت مناقشة نتائج العلاج الروحى التى تجرى بهذا المستشفى فى « المؤتمر الدولى السابع للروحيين » الذى عقد بمدينة كوبنهاجن فى سنة ١٩٦٦ ، والذى حضره أكثر من ثلاثمائة عالم يمثلون خمساً وعشرين دولة .

ويقوم بالدعوة إلى أمثال هذه المؤتمرات الدولية عدة هيئات لها مكانتها : منها مثلا « الاتحاد الدولى للروحيين » International Spiritualist Federation ومقره الرئيسى بمدينة أوتاوة عاصمة كندا .

ومنها أيضاً « جمعية البحث الروحى » بلندن[1] Society For Psychical Research وهى من أشهر الهيئات المعنية بالبحوث الروحية على مستوى الأسلوب الفيزيائى — الرياضى الذى يعبّرون عنه بالسيكوترونات Psycho - tronico . وأحدث مؤتمراتها هو المؤتمر الدولى الثانى عشر الذى عقد بكلية الملك ألفريد Alfred بمدينة ونشستر فى الفترة من ١٦ إلى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٨٨ .

وفى هذه المؤتمرات يناقشون القضايا العلمية الكبرى أولا بأول ، وعلى مستوى متطور ناضج لا يخدش حياء أى علم أو أى اعتقاد . ولعل جامعات الشرق الأوسط هى الجامعات الوحيدة التى لا تسهم بأى نصيب فى نشاط أمثال هذه المؤتمرات التى تسهم فيها عشرات الدول من الغرب ومن الشرق الأقصى . وذلك فى تعاون دولى وثيق لخدمة الإنسانية جمعاء وتخفيف متاعبها وآلامها ، عن طريق الرغبة فى خدمة المعارف الحديثة المتطورة .

ونحن ننظر إليها وكأنها لا تعنينا فى شىء لأن أرواحنا من طبيعة أخرى غير طبيعة بنى البشر أجمعين ، وكذلك أيضاً مؤسساتنا وجامعاتنا ، بل طبنا العضوى أيضاً وسائر علومنا ومعارفنا التى أخذت تنعزل تدريجياً عن مسيرة الركب العالمى ، لأنه أخذ فى السنين الأخيرة يعوق تقدمنا الباهر فى كل مجالات العلم والعرفان التى سارت بذكرها الركبان فى كل مكان !! . . .

---

(١) وهى تمارس نشاطها بانتظام منذ سنة ١٨٨٢ أى منذ أكثر من مائة عام وعنوانها
Adam & Eve Mews London W 86U G Tel. 01 937 8984.

الفصل الثالث

عن وضع العلاج الروحى
فى ثلاث من الدول الكبرى

المبحث الأول

وضع العلاج الروحى فى بريطانيا

خضع العلاج الروحى لتحقيقات مثابرة طويلة فى بريطانيا منذ أواخر القرن الماضى سواء بالنسبة لعـــلاج الأمراض العضوية ، أم بالنسبة لعلاج الأمراض العصبية والنفسية .

واجتاز — بعد مناوئات واعتراضات كثيرة — كل العقبات الكأداء التى كانت تقف فى طريقه ، وأولها عقبة الارتباط بالفلسفة المادية عن الوجود ، التى كانت تسود كل دوائر الطب والعلم فى الغرب .

وبعد هذه الاختبارات العسيرة اعترفوا به رسمياً هناك . وأعلنت « الجمعية الطبية البريطانية » التى تقابل فى بلادنا « نقابة الأطباء البشريين » منذ سنة ١٩٥٦ اعترافها بالعلاج الروحى (وقد نشر نبأ هذا الاعتراف الخطير بجريدة « أخبار اليوم » الصادرة فى ٢٢ مايو سنة ١٩٥٦) . ثم تأكد هذا الاعتراف بقرار لاحق صدر فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٧٧ عن « المجلس الطبى العام » .

ومنذ صدور القرار الأول تم تأسيس اتحاد للمعالجين الروحيين[1] أخذ أعضاؤه يتزايدون تدريجياً ، وأصبح التقدير الحالى للمعالجين الروحيين هناك قد يصل إلى

---

(١) اسمها : National Federation of Spiritual Healers.

حوالى ٢٠,٠٠٠ معالج من أعضاء هذا الاتحاد ومن خارجه .وتصرح لهم بالتردد على حوالى ١٨٠٠ مستشفى عام وخاص موزعة فى شتى أرجاء البلاد .

هذا بالإضافة إلى المئات من الجمعيات الروحية المنظمة ذات الإمكانيات والموارد الكافية التى تمكنها من أداء رسالتها الإنسانية على النحو المطلوب . وغالبيتها تعمل — فى نطاق العلاج الروحى بالذات — متطوعة ودون تقاضى أى أجر ، إلا إذا شاء المريض بعد شفائه بالفعل أن يدفع تبرعاً ما لمعاونة الجمعية الروحية فى رسالتها الإنسانية فى تخفيف آلام المرضى بأمراض عضوية أو عصبية .

وهذه الجمعيات — بالإضافة إلى رسالتها الإنسانية الرفيعة — توفر أيضاً على اقتصادهم القومى الملايين بل البلايين من الجنيهات التى كانت ستنفق فى ثمن العقاقير ، وفى مقابل تكاليف الجراحات الباهظة التكاليف ، ناهيك بثمن العديد من أجهزة التعقيم والتخدير وغيرها . وناهيك بتكاليف إنشاء العديد من المستشفيات والمصحات وصيانتها ، خصوصاً للأمراض العقلية والعصبية . ولبعضها أوجه نشاط متنوعة فى أعمال البر ، ومساعدة الفقراء فى صمت وسكون .

مقارنة بالوضع عندنا

هذا ما يجرى فى الخارج — فى بريطانيا وغيرها الآن — أما عندنا فقد أثرنا الجمود مع المكابرة الأليمة فى الوقائع المستقرة الثابتة حتى بمعرفة هيئاتنا الطبية المسئولة — علمياً وثقافياً — وكلها فيما يبدو تخشى اليقظة ، وتفزع من مواكبة التطور العلمى الذى يجرى الآن فى نطاق الطب بوجه خاص . وذلك لئلا يكون فى اليقظة ما قد يخفف من آلام حشود التعساء الذين يئنون من آلامهم المبرحة أنيناً متواصلا على غير جدوى !! . .

أليس من حق هؤلاء المرضى التعساء أن يرفعوا الأنين إلى الله تعالى لكى يستجيروا به من جمود هذه الهيئات الطبية ، قبل أن يوجهوا الأنين إلى هذه الهيئات نفسها ؟ ! أليس من حق الأهل والأقربين أيضاً أن يصرخوا فى وجه هذه الهيئات — لكى تتحرك

وتستيقظ — بنفس المقدار . . ؟ ! وحتى تؤدى رسالتها الإنسانية الجليلة على أتم وجه ، وفى كل مضمار ؟ ! ...

فهل من يقظة حقيقية يا قوم تحرك المشاعر وتفتح الأبصار ؟ ! . . وتضىء الطريق أمامنا مثلما فعلت فى العديد من الدول والأمصار ؟ ! . . هذه الدول والأمصار التى ما تزال غارقة — طبعاً — فى الدياجير والأوهام التى لاينبغى أن تتطاول على ما نحوزه من علم وفير ، ومن عرفان غزير مرير حتى الآن ؟ !

عن ضرورة التغيير السريع

ثم إن مناهج التحليل النفسى ينبغى أن يلحقها تغيير عاجل سواء فى كليات الطب أم فى أقسام علم النفس بكليات الآداب . وفى هذا التغيير العاجل ينبغى أن يؤدى التنويم المغناطيسى العلاجى دوراً أهم بكثير من الدور الواهى الذى يؤديه الآن ، أو لا يؤديه بالمرة .

أولا : فهذا الدور يقتضى إلمام المحلل النفسى العصرى إلماماً تاماً بأصول التنويم المغناطيسى وأساليبه ، وكيفية استخدامه فى إرجاع الذاكرة إلى الوراء ، لاستكشاف أسرار اللاشعور بصورة مجدية وفعالة .

ثانياً : ويقتضى هذا الدور أيضاً أن يكون موضوع « الوجود السبقى » للاشعور ماثلا فى ذهن المنوِّم الفنى الذى يحسن أن يكون علمه تخصصاً قائماً بذاته ، لكى يقف بجانب الطبيب النفسى فى أداء رسالته الدقيقة ، المتشعبة الجوانب والأرجاء .

ثالثاً : كما يقتضى هذا الدور أن يكون احتمال وجود حالة مس أو استحواذ ماثلا فى ذهن كليهما : الطبيب النفسى والمنوِّم الفنى الذى ينبغى أن يملك دراية كافية بهذه الأمور .

رابعاً : ويقتضى أيضاً هذا الدور إمكان الاستعانة بوسيط روحى مدرب قدير (أو بأكثر من وسيط) وتكون وساطته قد خضعت للاختبار بمعرفة جهة راقية لديها قدر كاف من الإلمام ، ومن الدراية بأسرار الوساطة الروحية وموضوعاتها

العديدة . خصوصاً منها هنا وساطة الجلاء البصرى والهيمنة الروحية والعلاج الروحى .

إن كل هذا التغيير الجذرى ينبغى أن يجرى فى أقرب وقت . وإلا فإننى مضطر أن أقول إن دور الطبيب النفسى — إذا أصر على الاستمساك بكل المفاهيم البالية — التى تطبقها فئة غير قليلة من السادة المحللين لا يخرج عن كونه من صور التزمت التى ينبغى تداركها ، إذا ما عرفت مسيرة التطور العلمى كيف تسير قدماً نحو الأمام لا يدفعها أمر آخر إلا رغبة تخفيف آلام الإنسانية عن طريق الارتباط بحقائق الأمور ، بدلا من الارتباط بترهات عديدة أضحت الآن هباء ، وهى مع ذلك تحمل شعارات رنانة براقة بقدر ما هى فاشلة وجوفاء ! !

* * *

ويصدق هذا القول على التحليل النفسى بمقدار ما يصدق على العديد من صور العلاج العضوى التى ينبغى أن تخضع بدورها للتطور العلمى . ثم لماذا لا تفكر نقابة الأطباء البشريين فى بلادنا فى الاتصال بالنقابات المقابلة فى البلاد الأجنبية للتعرف على موقفها المعاصر من هذه الأمور البالغة أقصى مدى من الأهمية ؟ !

— ولماذا لا تتصل النقابة بإدارة مستشفى « أوبيرابا » بالبرازيل وتطلب إمدادها ببعض البيانات والمطبوعات والإحصاءات عن النتائج المسجلة بهذا المستشفى ؟

— بل لماذا لا ترسل النقابة لجنة إلى البرازيل لمتابعة هذه الأمور عن كثب ، وموافاتها بنتائج هذه المتابعة التى هى الآن لا غنى عنها لإمكان البدأ فى تخفيف آلام الإنسانية المعذبة فى بلادنا ؟ !

— ولماذا لا تتصل بمراكز الباراسيكولوجى الجادة فى الخارج ، وهى منتشرة فى أماكن عديدة بغية الحصول على البيانات اللازمة لكى تجاريها ؟ !

— ولماذا لا تزوّد مكتبتها بالمراجع المعتمدة ، والمجلات ذات السمعة العالمية ، حتى تكون فى متناول السادة الأطباء العضويين والنفسيين ؟ !

— ولماذا لا تولى هذه الموضوعات أية عناية فى مجلاتها الدورية ولا فى مطبوعاتها ؟ !

— بل ولماذا لم نسمع عن طبيب مصرى واحد أولى هذه الموضوعات أى قدر من العناية بالتأليف ، أو بالمتابعة ، أو بالبحث ولو للاعتراض والمناقضة ؟ !

ماذا دهانا نحن المصريين ؟ ! هل حقاً نحن من أبناء القرن العشرين ، ومن سكان هذا الكوكب ؟ وهل نحن فعلا تعنينا آلام الآخرين ونشعر بمسئوليتنا قبلهم ، أم أننا قد خلقنا للجمود من ناحية ، وللمكابرة الأليمة فى الوقائع الثابتة من ناحية أخرى ؟ ! ..

إنها حقاً لمأساة محزنة بل مروّعة . أو بالأقل إنها مأساة ينبغى أن تثير الدهشة عند من يعرفون أن الدهشة هى أولى الفضائل ، لأنها بالأقل تثير الرغبة فى المعرفة واللهفة عليها ، فتدفع النفس دفعاً نحو البحث والاستقصاء للمزيد من التطور والارتقاء .

من رسالة لها مغزاها لولى العهد

ثم قارن هذا الجمود — بل التراخى المحزن — فى بلادنا ببعض ما يجرى فى الخارج من نشاط وحيوية على أعلى المستويات السياسية والعلمية . . .

نعم فلم يعد الأمر هناك مجرد اهتمام فى دوائر الطب العضوى والنفسى بما يجرى من أبحاث متواصلة فى هذا الشأن ، بل أصبح وضعاً رسمياً له صداه حتى فى المواقف المعلنة لولى العهد .

ففى شهر يوليه من سنة ١٩٨٣ دعى الأمير شارل ولى العهد البريطانى لافتتاح مركز طبى لعلاج الأورام الخبيثة بمدينة برستول Bristol فقال فى رسالة موجهة منه إلى مجموع الأطباء « بألا ينسوا وجود أساليب أخرى للعلاج يجب أن تمارس بالتبادل مع الطب العادى ، وهذه الأساليب — رغم المزاعم المغالية التى وجهت إليها — لا تؤذى إيجابياً أى إنسان . بل على العكس من ذلك : فإنها تعتمد فى الكثير منها على الطاقات النفسية والروحية التى على المريض أن يضعها فى مواجهة الأمراض التى قد تحدث له . . .

وهناك أشخاص ذوو مواهب طبيعية رائعة بمقدورهم أن يخدموننا عن طريق

تغيير نظرتنا بالكامل إلى مفهوم الحياة والموت . وهذا الأسلوب الجديد فى العلاج يمكن أن يحمل أوصافاً عديدة منها : العلاج الروحى ، والإيمان ، وقوة الصلاة .

لكن هذا الأسلوب يمثل ذلك الوجه غير المنظور من الكون ، الذى ما يزال بعض العلماء يشكك فيه ، بحسب العلم الحرفى الذى وضعه الإنسان ، لكنه مع ذلك ينادينا أن ندع عقولنا متفتحة على قدر الإمكان ، وألا نرفضه بوصفه محض هراء .

وإذا كان يتعذر أن يثبت بتجارب معملية أن العلاج على مستويات فيزيقية ، ونفسية ، وروحية ، قيمة خاصة ، فليس مقتضى ذلك أن يكون هذا العلاج جديراً بالإهمال تماماً ، أو أنه ضار بالإنسان »[١] .

ولذا فقد استحث الأمير شارل — فى رسالته التاريخية هذه — الأطباء والمعالجين الروحيين أن يتعاونوا معاً « وذلك لأنه وإن تعذر من ناحية البحث المعملى إثبات أن العلاج على المستوى العضوى ، والانفعالى ، والروحى له قيمته للمريض ، فإن ذلك لا يعنى أنه جدير بالإهمال تماماً ، أو أنه ضار بالمريض » .

* * *

ومدير هذا المركز الطبى — المخصص أصلا لمعالجة الأورام الخبيثة — هو الدكتور فوريس Forbes وهو قد اتصل بتجارب العلاج الروحى منذ سنين عديدة مضت ، وهو يقول « إن العلاج الروحى يمكن أن يفيد المريض فى ثلثى الحالات (فانظر وتأمل) وهذه نتيجة طيبة . ولذا فإن المعالجين والأطباء بحاجة بعضهم إلى البعض الآخر . والعلاج الروحى ليس طاقة آلية ، ولذا فهو لا يصلح لكل إنسان ، والبعض منا مقدّر عليه أن يعانى من مرض ما » . كما اقترح فوريس أن يلحق معالج روحى بكل مركز من مراكز العلاج الطبى . ومنذ سنة ١٩٧٧ دعا نفس الطبيب « إدارة الصحة الأهلية » إلى أن تدخل العلاج الروحى ضمن وسائلها مع وسائل الطب الأخرى[٢] .

---

(١) عن جريدة « الأنباء الروحية » Psychic News عددا ٣٠ يوليه ١٩٨٣ ص ١ ، و٣ سبتمبر ١٩٨٣ ص ١ ، ٥ .

(٢) عن جريدة « الأنباء الروحية » عدد ٣٠ يوليه سنة ١٩٨٣ ص ١ .

جلسة علنية للعلاج الروحى
فى قاعة من أكبر قاعات لندن
وتحت رقابة صارمة من الأطباء والعلماء
للمراقبة وتسجيل النتائج

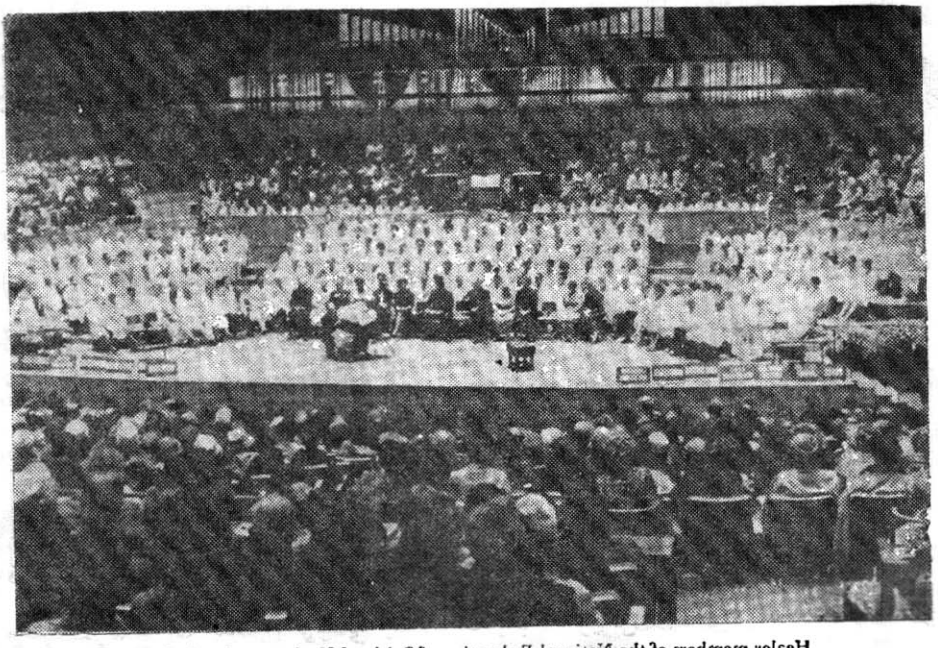

Healer members of the National Federation of Spiritual Healers on the platform at the Royal Festival Hall while a healing treatment is taking place

عن كتاب Harry Edwards : The Power of Spiritual Healing. P. 112.

إحدى المصحات المتخصصة
فى العلاج الروحى
التى يديرها « الاتحاد الوطنى للمعالجين الروحيين »

National Federation of Spiritual Healers.

An aerial view of The Sanctuary, Burrows Lea, Shere, Surrey, to which many thousands of people have travelled from all parts of the world to be healed.

صورة من الجو لمصحة متخصصة فى العلاج الروحى يفد إليها الآلاف من المرضى بقصد العلاج من كل أنحاء الأرض . متى يكون لدينا نشاط مماثل لتخفيف آلام الإنسانية المعذبة فى بلادنا ؟ !

عن كتاب هارى ادواردز المرجع السابق ص ١٢٨

عناوين بعض الهيئات المعالجة

وانتهز هذه الفرصة لكى أقدم — على مضض — أسفى البالغ إلى أولئك السادة الذين يتصورون خطأ أن لدىّ دائرة روحية ، أو أن بمقدورى تقديم أية خدمات عملية أو علاجية لهم ، لأننى فى الواقع قد قصرت نشاطى فى هذا الميدان على محض البحث العلمى ، نظراً لأن وقتى مثقل بالأعباء وإمكانياتى المحدودة لا تسمح بأكثر من ذلك :

وأولئك السادة الذين يرغبون فى تحقيق أية خدمات روحية ، وبوجه خاص يريدون أن يجربوا حظهم فى العلاج الروحى الحضورى أو الغيابى يمكنهم أن يكاتبوا إحدى الهيئات الآتية (وكلها فى انجلترا) :

— The Spiritualist Association of Great Britain.
33 Belgrave Square S. W. I. London.
(Telephones 01 — 235 3351 — 5 Lines).
Underground : Picadilly line : Hyde Park Corner.
Inner Circle : Victoria or Sloane Square.

— Healing Minute Secretary. The Sanctuary. Burrows.
Lea., Shere Guildford, Surrey, England.

— Fred Partington (F.F.K) Letari. New Road. Abergele, Cluyd N. Wales 8 EL.
Great Britain.

— Phil & Kath Wyndham's Spiritual Healing, Canberra Box T. V. 91 Tarrinton, Devon. Tel. 080 — 52247 .

— Spiritual Truth Foundation Secretary, Gordon Adams, 23 Great Street, London W. C. 2B 5 B B England.

— Harmony Healing, Flat 3, The Grange, Brand Hill, Woodhouse Eaves.
Loughborough L. E. 12 8st. Tel. 509 — 890782.
(Matthew Manning Charles Bullen. Win Wood).

— Croydon Brook Healing Sanctuary.
25 Northampton Road. Croydon.
Tel. 01 — 653 — 6540.

— **Healing By White Feather and Band. Sae to sister Burrows SRN, Hadleigh.**

— **Healing Society, Calais Street, Hadleigh Suffolk. Tel. 0473 — 823282.**

— **The Acacia House Centre : Centre Avenue, The Vale Acton Park, W 37 J X. Tel. 01 — 937 — 5655.**

— **Leah Doctors : Sae 47 *M*oldstone Villas, Hove, B N 3 3 R. T. Sussex Tel. Brighton (0273) 737746.**

— **New Barnet Healers, N F S H members by appointement. Tel. 01—449 — 5670 (3008).**

— **Subriton Healing Sanctuary Tel. 01 — 390 — 1317.**

— **Barnes Healing Sanctuary. White Hart Lane S W 13 South London.**

— **Enfield Beacon of Light 231 Carterhatch Lane, Forty Hill,**

— **Queen Shop Healing Sanctuary Mynydd y. Garreg, Kidwelly, Dyfed SA 17 4 RR (0554) 891313**

— **Morning Light Healing Centre Tummel Bridge, by Pitlochry. Perthire Scotland pH 16 5NT. Tel : 08824230.**

وتوجد غير هذه الهيئات التى أسلفناها الآلاف من الجمعيات والهيئات الروحية المنظمة المنتشرة فى كل أنحاء العالم . وغالبية خدماتها مجانية وتقوم على محض التبرعات من الأشخاص الذين تهمهم المشاركة فى تخفيف آلام إخوتهم فى الإنسانية، ويجدون فى ذلك متعتهم الكبرى. . . فمتى تكون لدينا مثل هذه الإمكانات فى شرقنا الأوسط ؟ !

---

(١) ويستلزم بعضها إرسال مقابل طوابع البريد للرد ، وتوجد طوابع بريد دولية تصنع لهذا الغرض وهى متوافرة فى مكاتب البريد الرئيسية .

المبحث الثانى

وضع العلاج الروحى
فى الولايات المتحدة الأمريكية

عن موقف وليام جيمس

هذا التجاوب مع التطور العلمى الذى يجرى فى العالم منذ مطلع هذا القرن يتطلب من الإنسان قدراً كبيراً من سعة الأفق ، وسعة الصدر أيضاً ، وقدراً مماثلا من اللهفة على المعرفة ، مع رغبة التطور والارتباط بحقائق الوجود . وقد عبَّر عن ذلك أجمل تعبير موقف وليام جيمس الفيلسوف المعروف (١٨٤٢ — ١٩١٠) .

فقد كان هذا الفيلسوف أستاذاً لعلم النفس والفلسفة بجامعة هارفارد ، ووضع عدة مؤلفات فى علم النفس منها واحد عنوانه « مبادىء علم النفس »[1] وكان ذلك قبل أن يتصل بالتحقيقات الروحية أو يسهم فى بحوثها . فلما حدث هذا الاتصال حدث بنفس المقدار تحول جذرى عند وليام جيمس من مبادىء « علم النفس التقليدى » إلى مبادىء « علم النفس الروحى » .

وهذا التحول دفعه إلى أن يكتب — بتواضع العالم وشجاعة الفيلسوف — فى وصف كتابه القديم فى « مبادىء علم النفس » بأنه « أصبح يمثل كتلة كريهة ، منتفخة ، مستسقية متورمة ، متعفنة . أشهد أنه لا شىء هناك يسمى علم النفس ». ويقصد جيمس بذلك أن « علم الروح الحديث » Psychic Science قد أصبح وارثاً له وبديلا عنه .

* * *

(١) Principles of Psycholgy.

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ محمود زيدان فى مؤلفه عن « وليم جيمس »[١] : « لقد أفادته بحوثه مع زملائه إفادة جمة فى الوصول إلى نتائج علمية تخدم أغراضه فى التوفيق بين العلم والدين.. ولعل هذه الجمعية الروحية كانت الأساس المتين الذى جعل لجيمس شهرة فى الموضوعات الصوفية . إذ وصلت الجمعية فيما وصلت إليه إلى وجود النفس المستورة Subluminal ، فجعل منها قاعدة لوجود عنصر غير فسيولوجى فى الطبيعة الإنسانية يمكن أن يؤدى إلى اتجاه الإنسان نحو الله . واكتشف جيمس — كعضو عامل فى الجمعية — وجود مناطق خفية من الشعور يمكن للإنسان عن طريقها معرفة عالم غير منظور ، وأصبح هذا العالم هو جوهر الدين فى فلسفته الدينية » .

وفى مؤلفه عن « صنوف التجربة الدينية »[٢] قال عن هذا العالم غير المنظور ما يلى « ليست الذات الواعية سوى جزء من ذات أعظم ، وإن امتدادات الذات الواعية لتذهب إلى ما هو خارج الإحساس والعقل بكثير فى إقليم يمكن تسميته بالغامض أو بما فوق الطبيعى . وطالما أن ميولنا تستمد أصولها من ذلك الإقليم — وهذه هى حالة الغالبية من بين هذه الميول — فإن صلتنا بذلك الإقليم تكون ممتدة فيه إلى ما هو أعمق مما تمتد إليه فى العالم المنظور ، وذلك لأن مطامعنا الأكثر سمواً هى محور شخصيتنا .

لكن ذلك العالم غير المنظور ليس مجرد مثل أعلى فحسب . كلا بل إنه ليحدث آثاره كذلك فى العالم المحسوس . فإننا باتصالنا بذلك العالم غير المنظور تنتهى ذواتنا بالتحول فنصبح أشخاصاً آخرين ، ونصحح من سلوكنا عن طريق إعادة تقويم خصائصنا من جديد Regeneration . ومن ثم يحدث ذلك العالم غير المنظور تأثيره فى العالم الطبيعى ، فكيف نأبى أن نسمى ذلك العالم الآخر بالحقيقى ، وهو الذى يحدث أثره فى داخل حقيقة أخرى (هى العالم الطبيعى) ؟ » .

ولم يبن وليام جيمس عقيدته بوجود العالم غير المنظور على مجرد فلسفة نظرية ، وهذا هو الجانب الهام فى آرائه ؛ بل بناها على « وقائع مؤكدة تنطوى على الاعتقاد

---

(١) والكتاب من ضمن مجموعة « نوابغ الفكر الغربى » ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) Varieties of Religious Experience.

بوجود عالم غير منظور وله وجود حقيقى واقعى وليس مجرد تصور . وسيجعل هذه النتيجة هى نقطة الارتكاز فى الدين ، وهو يقدم لهذه النتيجة بمقدمات كثيرة[١] .

* * *

ويبنى وليام جيمس آراءه هذه على تجاربه الخاصة فى الروحيات ، والتجارب الدينية لدى الصوفية ، وما أوحته نتائج العلاج الروحانى ، كل هذه « يثق بها جيمس ويتخذها وثائق ، ولا يوجد ما يدعو إلى تكذيب أصحابها » ، على ما يقرره الأستاذ محمود زيدان ، الذى يقول أيضاً فى بحثه القيم الذى وضعه لدراسة فلسفة وليام جيمس « لقد وصل جيمس من خلال دراساته للتنويم المغناطيسى وأبحاثه فى العلاج الروحانى ودراسته سيراً كتبها أدباء مشهورون لهم نزعات صوفية (هم وسطاء الإلهام) — وصل من ذلك إلى حقيقة هامة هى أن شعورنا اليقظ الراهن ليس سوى نمط واحد من أنماط الشعور الإنسانى .

ويجب ألا نغفل أن وراء هذا الشعور اليقظ شعوراً خفياً آخر ، ولعله أكثر عمقاً وسعة وتأثيراً فى حياتنا . . . ويروى بنفسه أن هذه الحقيقة نتيجة هامة وصل إليها بعد قيامه بملاحظات وتجارب كثيرة ، واقتنع بصدقها ولم يزعزع اعتقاده بها شىء[٢] » .

فهل يرضى السادة أساتذة الجامعات — ومعهم غالبية القائمين على علاج الأمراض العصبية — أن يتمسكوا حتى الآن بأهداب علم للنفس أقيمت أسسه على دعائم بالية من الفلسفة المادية للوجود ، وبعد أن ثبت فشلها فى كل موطن وضعت فيه موضع التطبيق ؟

أما آن الآوان لكى ينبذوا تلك الأساليب البالية نبذاً ، بهدف توسيع آفاق التجريب والعرفان معاً حتى تتلاقى هذه الآفاق مع ما يجرى الآن من تعديل جذرى فى أسس العلوم الطبيعية والإنسانية ، بإعادة صياغتها على محاور روحية مستمدة من اليقين الرياضى ، وذلك بعد أن طفر المنهج الفيزيائى الرياضى طفرات سريعة للأمام ؟ ! . . .

---

(١) عن « وليم جيمس » للأستاذ محمود زيدان ص ١٤٥ — ١٥٢ .
(٢) عن المرجع السابق ص ١٦٤ .

العلاج الروحى يدخل هناك حتى إلى معاهد التمريض

وفى أمريكا لا يقل الاهتمام بالعلاج الروحى عنه فى سائر الدول الأخرى ، وإن كانت تعوزنى الأرقام المحددة عن عدد المعالجين ، وأسماء بعض منظماتهم وهيئاتهم . بل لقد بلغ الاهتمام بالعلاج الروحى هناك أنه فى سنة ١٩٧٤ أضيف العلاج الروحى إلى قائمة المواد التى يدرسها الطلبة والطالبات فى معهد من أكبر معاهد التمريض هناك . وهو تابع لجامعة نيويورك[١] .

وكانت تشرف على تعليم العلاج الروحى الدكتورة دولوريس كريجر Dolores Krieger التى كانت تدير هذا المعهد منذ سنة ١٩٥٤ والتى تبنت اقتناعاً هادئاً بجدوى هذا النوع من العلاج . وصرحت دولوريس بأنه « لا يوجد أى تساؤل الآن عن جدوى هذا الأسلوب من العلاج ، وأنه يعمل جيداً بطريقة لا تصدق » ! وكانت تعمل أصلا بوصفها أستاذة مساعدة لمادة التربية فى هذه الجامعة .

وقد بدأت دولوريس على الفور منذ سنة ١٩٧٤ فى تدريب مائة وثلاثين من طلبة المعهد وطالباته من ذوى المواهب العلاجية ، وذلك لمدة ساعتين أسبوعياً . ثم اتضحت الحاجة إلى مقرر تدريبى يستغرق كل الوقت تقريباً ، ويتم بعد ذلك إلحاق الخريجين للعمل بالمستشفى التابع للجامعة . وفى تقدير لاحق يبلغ عدد المدرَّبين فى هذا المجال من العاملين فى مجال الرعاية الصحية وحدها أكثر من خمسة آلاف معالج.

وقد أختبر هذا الأسلوب من العلاج بعض أساتذة الجامعة منهم الدكتور روجرز Rogers ، والدكتور ليه جورمان Leah Gorman . كما اختبره بعض الباحثين من خارج الجامعة منهم الدكتور ميكل شاكتر Michael Schackter وهو مدير لإحدى المصحات العصبية وأقروا كلهم بجدواه[٢] .

---

(١) New York University Division of Nurse Education.

(٢) وتوجد الآن دول أوربية وأمريكية أخرى تولى هذا الأسلوب من « الرعاية الصحية » الحديثة نفس الاعتبار .

العلاج الروحى يقتحم مقر « هيئة الأمم المتحدة »

ومن أحدث الأنباء فى هذا الشأن أن ثمة جراحات روحية أجراها حديثاً داخل مقر « هيئة الأمم المتحدة » بنيويورك معالج من مانيلا عاصمة الفلبين ، يدعى أليكس أوربيتو Alex Orbeito للمئات من أعضاء وفود الدول المختلفة . وقد رددت أنباءها الصحف السيارة — فى العالم أجمع — بكل يقظة واهتمام .

ووصف بعضها الأستاذ علاء الدين الأعرجى فى رسالة من نيويورك إلى مجلة « طبيبك الخاص » (عدد يناير ١٩٨٨) ، وأرفق بالوصف صوراً بالألوان لا تترك متسعاً لأية مكابرة أو لأى شك فى الموضوع .

ومما ورد فى هذا الوصف لتلك الوقائع — البالغة أقصى درجات الخطورة — « كيف لى أن أصدق ما يقال عن بقر البطون وشق الصدور . . باليد المجردة دون أداة . . وبلا ألم أو تخدير ، ثم تعود الأمور إلى مجاريها الطبيعية بعد ثوان معدودة بمجرد اللمس ، فيلتئم الجرح وينغلق الصدر . . ويقوم المريض بعد دقائق سليماً وكأن شيئاً لم يكن ، ثم يشفى مما كان يعانى منه من ألم أو مرض . . . أليست هذه مخالفة لأبسط الأسس العلمية والتجريبية ؟ ! . . .

ثم نزلت من مكتبى فى الطابق السابع عشر من مبنى « الأمانة العامة للأمم المتحدة » إلى الجناح الخاص بمكتبة داج همرشولد الأمين العام السابق لهيئة الأمم المتحدة فى نفس المبنى ، ثم قاعة المكتبة فى الطابق الأرضى ، فوجدتها غاصة بالحضور من مختلف الجنسيات ولاسيما الأمريكيين والأوربيين . ورحت أشق طريقى بين الحشود لأجلس فى ركن على الأرض ، وقد تملكتنى الدهشة من هذا الإقبال البالغ » . .

ثم يصف المراسل بعض الجراحات التى رآها بعينيه وسجلها « بالكاميرا » بصور ملونة واضحة ويقول « ثم علمت أن مجموع الأشخاص العرب الذين عالجهم هذا المعالج قد بلغ ثلاثة عشر [١] من العاملين فى دائرة اللغة العربية فى مقر الأمم المتحدة . . .

---

(١) بالإضافة إلى جراحة أجريت للمحرر شخصياً ، وشفيت من بعدها أعراض مرضه .

ولقد حاولت إيراد هذه الأحداث بغاية الدقة والإخلاص والتجرد والموضوعية لأشرك قراء هذه المجلة الغراء فى تجربة غريبة مرت بى . وأترك لقراء المجلة الأفاضل الحرية فى تفسيرها أو اتخاذ موقف منها ، دون أن أبين رأيى فيها فى هذه المقـالة ، خصوصاً وقد قررت أن أعود إلى بحث هذا الموضوع فى مقالة أخرى بعد أن أجريت تحقيقات موسعة . . . »[1] .

* * *

فهل يتصور عقل عاقل أن يكون هذا الضرب من « الوهم أو الخداع » قد تسلل خفية حتى إلى مقر « هيئة الأمم المتحدة » ؟ وأن يكون هذا « الوهم أو الخداع » قد فات أمره على وفود الأمم المشتركة فى نشاط هذه الهيئة ؟ ! وأن يكون قد فات أمره أيضاً على عدسات المصورين وهى تلتقط الآلاف من الصور الملونة التى نشرتها — فى اهتمام بالغ — صحف عديدة فى العالم ؟ !

وهل نسى المسئولون فى « هيئة الأمم المتحدة » مسئوليتهم عن سمعتها كهيئة لها احترامها فى أعين الكافة فسمحوا بأن يجرى كل هذا « الدجل أو الشعوذة » فى قاعاتها ومكتبتها ؟ ! وهل نسى المسئولون عن تحرير الصحف الكبرى مسئوليتهم عن سمعة صحفهم فى دوائر الطب والعلوم المختلفة ، وهى دوائر ليست الغفلة من صفاتها ، ولا سهولة التصديق ؟ !

ثم إن معجزات هذا المعالج الفلبينى — وغيرها كثير — قد صمدت من قبـل لأدق التحقيقات — الجادة الموضوعية — فى العديد من المعاهد والجامعات[2] . فهل تكفى كل هذه التحقيقات والوقائع الحاسمة لإقناعنا بأن نبدأ أم أن من واجبنا أن نكابر حتى فى وضح النهار ، وفى كل ما لا تتسع له دائرة معارفنا فى شأن هذه الظواهر الخارقة للمألوف ، والتى لم نبدأ فى بحثها بعد ؟ ! . .

---

(١) عن مجلة « طبيبك الخاص » عدد يناير ١٩٨٨ صفحة ٩٠ — ٩٥ .

(٢) للمزيد عنها راجع كتاب « العلاج الروحى » للدكتور على عبد الجليل راضى ، القاهرة ١٩٧٥ . ص ٢٣٥ - ٢٥٠ ، ٣٠٦ — ٣٠٨ ، والمراجع المشار إليها فيه .

1 As Filipino psychic surgeon David Elizalde holds a bowl, his wife Helen's fingers start to enter transfiguration medium Queenie Nixon s stomach

2 The four fingers of Helen's right hand enter Queenie's stomach Note the pool of blood around Queenie's navel. Five large clots are seen in the bowl

صورتان التقطتا لمعالجين آخرين من الفلبين يتبعان نفس أسلوب أليكس أوربيتو الذى اتبعه داخل مقر « هيئة الأمم المتحدة » بنيويورك (عن جريدة الأنباء الروحية » عدد ١٧ يونيه ١٩٧٨ صفحة ١ ، ٣) .

* * *

وقد حققت ظواهر معالجى الفلبين عدة هيئات برئاسة أعلام فى علوم شتى . فصمدت هذه الظواهر على تحقيقاتهم المصحوبة بأفلام ملونة ، وصور فورية Polaroid ؛ وأجهزة متطورة للرصد وللقياس ، وكانت النتائج الإيجابية وفيرة ، وقاطعة للشك باليقين .

3 David looks on as Helen continues with the surgery. The paper tissues and Helen's left hand are splattered with blood.

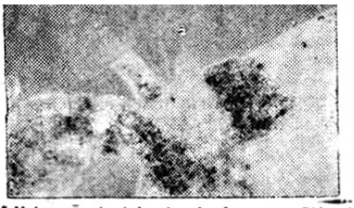

4 Helen uses both her hands. A stream of blood trickles from Queenie.

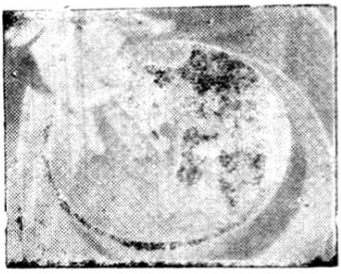

5 Here David holds the largest clot that was taken from Queenie.

ثلاث صور أخرى التقطت لنفس المعالجين وهما تحت الرقابة العلمية (عن جريدة « الأنباء الروحية » عدد ١٧ يونيه ١٩٧٨ صفحة ١ ، ٣) .

* * *

ومن هؤلاء من العلماء اليابانيين هيروشي موتوياما **H. Motoyama** ، ومن الألمان ستلتار **Steltar** ، ومن الانجليز ليال واتسون **Lyall Watson** ، ومن الأمريكيين أندريجا بوهاريتش **Andrija Puharich** ، وجورج . ميك **George W. Meek** ، وهارولد شيرمان **H. Sherman** . وكلهم تحققوا من صحتها وتناولوها في مؤلفاتهم بالعناية الكافية ، وبكل الحذر والتدقيق .

المبحث الثالث

وضع العلاج الروحى
فى الاتحاد السوفيتى

كبار العلماء يجرون فيه الأبحاث

دخل العلاج الروحى الاتحاد السوفيتى أيضاً فى تاريخ حديث نسبياً ، ولقى ما هو جدير به من اهتمام . وقد ازدهر هذا الاهتمام بازدهار أبحاث الباراسيكولوجى بوجه عام ، مع ثبوت اتصالها بنواحٍ متعددة من النشاط الاجتماعى ، بل السياسى والعسكرى أيضاً على ما سوف نعرض له فى الباب الثامن .

وفى هذا الشأن نقرأ فى عدد ٦ سبتمبر سنة ١٩٨٠ من جريدة الأهرام البيان الآتى فى رسالة من موسكو أرسلها المندوب الصحفى الأستاذ عبد الملك خليل وذلك بعنوان « أول لجنة لروحانيات الإنسان توافق أكاديمية العلوم السوفيتية على تشكيلها » :

« تشهد أكاديمية العلوم السوفيتية وعلماؤها المنتشرون على الساحة العريضة التى تشتمل على سدس الكرة الأرضية شبه ثورة على عدد من المفاهيم المستقرة . تلك المفاهيم التى ادعت ولا تزال تدعى لنفسها حق الوصاية والهيمنة فى تقديم التفسيرات والوصفات الجاهزة لعلة وسبب كل ظاهرة ، سواء فى المجتمع أم فى الطبيعة البشرية . أم النفس البشرية .

ولإدراك عمق هذا التحول البادى يكفى القول بأن العلماء السوفيت فى مختلف التخصصات يشكلون بالنظر إلى المستوى العددى الكمى ما يزيد قليلا عن ٢٥ فى المائة من العلماء والمشتغلين بالعلم فى العالم كله . . .

وقد تجمع عدد من علماء الأكاديمية بعد مشاورات واتصالات إلى المطالبة بتكوين

لجنة تعيد النظر فى كل ما يتعلق بالتصورات حول الإنسان وقدراته الروحية . . وتضم الهيئة الجديدة علماء متخصصين فى علوم الاجتماع ، والفلسفة ، والتربية ، والطب ، والبيولوجيا (علم الحياة) ، والتكنيك ، والرياضيات النظرية ، والهندسة ، والفيزياء ، وخبراء فى الثقافة والرياضة البدنية . ومن ثم فما هى أهداف هذه اللجنة ؟ يجيب البروفسور سبيركين (رئيس اللجنة) :

« يتميز العصر بالبحث المتعمق المنسق لدراسة أية ظاهرة يدفع بها الواقع الطبيعى أو الاجتماعى . . ومع ذلك ففيما يبدو أنه ليس هناك موضوع يستحق الدراسة والفحص أكثر من الكائن الإنسانى . لقد وضع الإنسان ولا يزال تحت دراسات ذات مستويات مختلفة . . . ابتداء بالمستوى الفلسفى ، وانتهاء بالمستوى البيولوجى الحيوى . ولكننا بالانطلاق من علم الفيزياء (الطبيعيات) ، والكيمياء ، والبيولوجيا ، والفسيولوجيا (وظائف الأعضاء) ، غير علم النفس حتى حقائق الحياة الاجتماعية ، فإننا ندلف من ثم إلى عالم رحب هو عالم الثقافة الروحية . . .

ولعل من الأهمية القصوى الإشارة إلى حقيقة التركيز على أن الشخصية الإنسانية فريدة ومتفردة ، غير أن علماء الطب والأطباء غالباً ما لايعيرون ذلك أهمية تذكر ... وقد يحقق بعض الأطباء نتائج طيبة فى معالجة بعض الأمراض . . . ومع ذلك فيمكن القول بأن مثل هذا النجاح لهؤلاء الأطباء ليس إلا نجاحاً محلياً إذا جاز التعبير . وهو نجاح غير كاف لاستعادة الصحة للجسم الإنسانى ككل . وفى تمكين المريض من التغلب على كل الأمراض الجسدية والروحية » .

وانطلاقاً من هذا الأسلوب الثورى فى مواجهة الأمراض الجسدية والروحية ، أخذ أسلوب العلاج الروحى يطفر طفرات سريعة فى الاتحاد السوفيتى ، وأخذ المعالجون يتزايدون ويترددون حتى على الكرملين لمعالجة القادة السياسيين .

عن وفرة النتائج الإيجابية

وبشأن هذا الموضوع يكتب الأستاذ راجى عنايت فى كتابه عن « معجزات العلاج » (١٩٨٧) قائلا « إن هذا العلاج قد بدأ يكتسب احتراماً فى الاتحاد السوفيتى

فى الفترة الأخيرة ، ربما كامتداد طبيعى للاهتمام الروسى بظاهرة التخاطر وغيرها من الظواهر العقلية الخارقة . . . ومنذ وقت قريب كان ينظر إلى العلاج باعتباره ظاهرة غير علمية ، إلا أن الظاهرة تدرس الآن على أوسع نطاق فى الدوائر العلمية تحت اسم « العلاج بالمجال الحيوى » أو تحت اسم « تأثير المجال الحيوى » . . .

ومن بين مواهب الآنسة دافيتا شفيلى (معالجة روسية) موهبة التشخيص . وقد أجرى لها اختبار علمى أثبتت من خلاله نجاحها فى تشخيص الأمراض بدقة وصلت إلى ٩٧,٣ فى المائة ، وكانت هذه التجربة تتضمن ٤٣ مريضاً . والغريب فى الأمر أنها أستطاعت أن تكشف أعراضاً مرضية أخرى فى نصف من عرضوا عليها فى أثناء الاختبار ، ولم يكن الأطباء قد اكتشفوها . وعندما قاموا بعد ذلك بإعادة الكشف على المرضى أكدوا ما سبق أن ذكرته .

ويرى بعض العلماء السوفيت أن ممارساتها تضع دليلا قاطعاً على وجود بعض مجالات للطاقة الحيوية التى تحيط بالجسم البشرى . وقد استندوا فى هذا إلى الدليل المادى الذى وضعه بين أيديهم اتباع العالم السوفيتى كيرليان ، والذين توصلوا إلى تصوير ذلك المجال منذ أكثر من عشرين سنة باستخدام أسلوب خاص مبتكر فى التصوير الكهربائى (١) .

ومن بين المرضى الذين شهدوا بفعالية علاج دافيتا شفيلى أطباء وعلماء وشخصيات سوفيتية قيادية . وقد لخص العالم الطبيعى السوفيتى الكبير تشكما تشيفا رأيه قائلا إن الطريقة التى تستخدمها الآنسة دافيتا شفيلى تحتاج إلى دراسة أبعد ، حتى يمكن تطبيقها والاستفادة منها فى الممارسات الطبية بشكل عام » (٢) .

---

(١) الإشارة إلى جهاز خاص اخترعه سيمون كيرليان Simon Kirlian وزوجته فالنتينا Valentina لتصوير الهالة المتداخلة فى الجسم العضوى لجميع الكائنات الصلبة ، والتى تتأثر تأثراً مباشراً بكل الأمراض الوظيفية والعصبية ، وتؤثر فيها ، على ما سنوضحه فيما بعد ببعض الصور . وقد نجحوا الآن فى أخذ هذه الصور « البيو بلا سمية » بالألوان الطبيعية حتى يبدو ذلك التأثر بالحالة الصحية أشد وضوحاً .
وللمزيد عن موضوع الهالة الإنسانية راجع على راضى . المرجع السابق ص ١١٧ — ١٢٨ .

(٢) راجى عنايت . المرجع المشار إليه عاليه ص ٤٨ — ٥٤ .

سيمون كيرليان وقرينته فالنتينا — وهما من أعلام الباراسيكولوجى — يعملان فى معملهما الخاص بموسكو فى تصوير هالات الكائنات الحية والجامدة بجهاز من اختراعهما.

وقد أمكن عن طريق هذه الهالات التأكد من صحة تأثير بعض المعالجين الروحيين الذين يترددون الآن على « الكرملين » لمعالجة القادة والزعماء ، كما يوجد بقرب وزارة الخارجية مقر للعلاج الروحى .

نموذجان من صور الهالة عند الإنسان وفى النبات

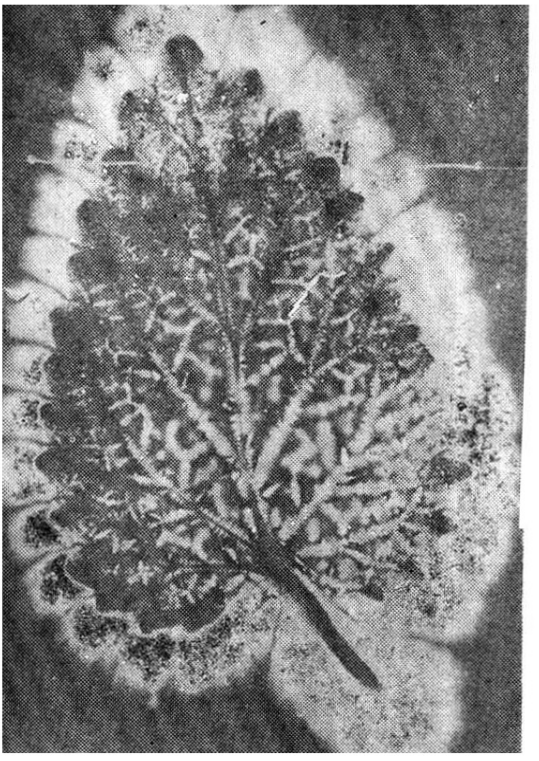

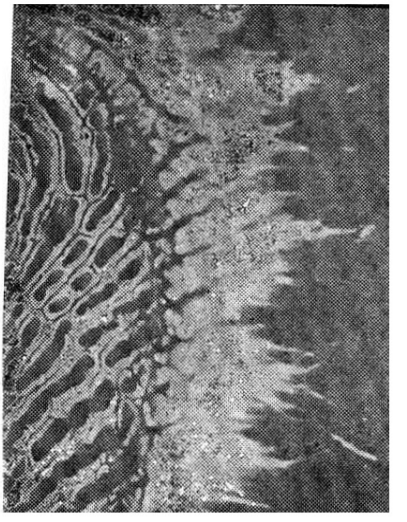

Photo prise avec la méthode Kirlian de l'extrémité d'un doigt fortement engagé

إلى اليمين الطاقة الحيوية المحيطة بطرف إصبع إنسان بعد تكبيرها كثيراً وإلى اليسار الطاقة الحيوية المحيطة بورقة شجرة .

وقد تم أخذ الصورتين بجهاز كيرليان الذى قام بتحويل ظاهرة بيو بلاسمية إلى ظاهرة كهربية ، حتى أمكن تصويرها . ولهذه الأبحاث صلة وثيقة بالصحة العضوية والنفسية للإنسان ، بل لجميع الكائنات الحية بوجه عام

متابعـــة

ثم يمضى الأستاذ راجى عنايت قائلا إن « هناك معالج سوفيتى آخر ألقيت عليه الأضواء لفترة طويلة أسمه الكسى كريفوروتوف الذى يقوم بالعلاج معتمداً على مساعدة ابنه . وقد كان هذا المعالج محوراً لمؤتمر ضم عدداً من الأخصائيين فى الطب وأقيم فى موسكو .

والرأى النهائى للأخصائيين — كما ورد فى تقريرهم — يقول « عند الأخذ فى الاعتبار النتائج الإيجابية الملفتة ، والتى تحققت فى علاج ٨٥ مريضاً بأمراض مختلفة ، وخلال عدد من الجلسات يتراوح بين أربع وعشر جلسات . وأيضاً باعتبار أن كريفوروتوف ظل يمارس طريقته فى العلاج بنجاح لأكثر من أربعين عاماً ، فقد رأى المؤتمر أن تحال نتائجه إلى المعهد المركزى للطب التجريبى فى لينينجراد » . . .

ومن بين الذين يمارسون عملهم علانية ، ودون معارضة من السلطات فلاديمير سافونوف الذى يجمع بين قدرتى التشخيص والعلاج . . .

وهو يقول « إن التجارب التى أقوم بها مع المرضى قد أظهرت أن الطاقة العلاجية التى قد تستمد من يدى المعالج يتم امتصاصها فى بعض أجزاء الجسم بشكل أكبر جداً من أجزاء أخرى . ومن المثير للاهتمام أن هذه الخاصية — خاصية الامتصاص القوى تتوفر فى الأجزاء المريضة ، بالإضافة إلى المناطق التى كانت منذ وقت بعيد قد تعرضت لمتاعب أو لجروح أو التهابات ربما يكون صاحبها قد نسيها » .

ثم يستطرد المؤلف قائلا إن بعض الدول مثل هولندا تقوم حالياً باتخاذ الخطوات لمراجعة قوانينها بهدف الاعتراف بأشكال العلاج غير التقليدية التى بدأت تشيع وتتضاعف شعبيتها . . . وقد شكلت الحكومة لجنة تسعى إلى اختبار وسائل العلاج البديلة (للتقليدية) . . .

ومن بين الدول التى تتيح للمعالجين نفس الحرية التى يتمتع بها المعالجون الانجليز استراليا ونيوزيلندا ، اللتان ورثتا نفس روح القانون العام البريطانى .

أما بالنسبة للدول النامية ، أو دول العالم الثالث ، فالواضح يتباين أيضاً بالنسبة

لتلك الأساليب التى اعتبرتها « منظمة الصحة العالمية » أخيراً من الأساليب العملية والمطلوبة[١] .

* * *

ولاحظ مغزى هذا القرار الأخير وقيمته عندما يصدر من « منظمة الصحة العالمية » لكى يعلن أمام العالم أجمع أن هذه السبل غير التقليدية « عملية ومطلوبة » .

وهو قرار لم يكن له للأسف الشديد صدى يذكر فى الدول النامية رغم حاجتها المفرطة للعناية بهذا الموضوع ، بالأقل من ناحية رعاية صحة المواطنين بأيسر السبل وأقلها تكلفة اقتصادياً واجتماعياً ، فهل آن لنا أن نصحو ونتحرك ، وأن نكون قدوة حسنة للآخرين ؟ ! بدلا من أن نكون قدوة فى الانطواء والجمود ؟ !

والآن إلى الباب السادس لكى نعالج موضوعاً حديثاً فى الباراسيكولوجى لا يقل فى خطورة نتائجه عن موضوع العلاج الروحى ، ألا وهو تلك « الآفاق الجديدة التى أخذ الباراسيكولوجى يستمدها من تحقيقاته فى رؤى المحتضرين » .

---

(١) راجى عنايت . المرجع السابق ص ٥٤ — ٥٨ .